



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

أوجست دييس

أفلاطون

ترجمة
محمد اسماعيل

الأعمال
المختارة

أفلاطون

تأليف

أوجست دييس

ترجمة

محمد اسماعيل

الطبعة الثانية



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٨

الفهـــــرس

الموضوع	الصفحة

البيئة العقليـة

١ ـ المـراض

الى الطريق المار خارج السور وعلى مقربة من البـاب المستور حيث تقـوم نافورة بانوب ، يخـرج الأطفـال من المراض زرافات • الشمس قد جنحت للغـروب ، والمعلمون يسوقونهم أمامهم باشارات تنم عن اللهفـة والقلق ، وفى أصواتهم من البحة والزجر ، وفى ألسنتهم من الثقل ما يزيد من حوشية اليونانية التى يدندنون بها • وهؤلاء هم الأطفال يخالس بعضهم بعضـا النظـر ، خافضى الـرأس كتمـانا لضحكاتهم • انهم يعلمون حق العلم بأن عبيدهم المسنين قد شربوا اليوم فى أعياد هرمس • وهم يغذون السير مع ذلك ، يتبعهم صبية يكبرونهم يتحدثون ويجـادلون فى حـرارة ، وفتيان وشبان يتوسطهم رجال هنا وهناك •

ها هـو ذا البهـو الداخلى ، حيث تمارس التمرينـات الرياضية ، قد خلا من رواده • ولكن جماعات من الرجال والشباب لا تزال هناك تحت الأروقة ، وثمة عبارات منسهبة تقرع الأسماع كأنها ضوضاء ذات انسجام ، تنتفخ وتعلو تارة أو تتمطى تارة أخرى ، ويقطعها التصفيق بين الفينة

والفينة ، وحينا تكون جملا قصيرة تتصادم وتتقارع حادة كالسيوف ، مثيرة هتافات حماسية وعواصف من الضحك • منظر وايم الله ، قد استهوى نفوس الفتيان الأيفـاع الذين انسلوا متدافعين وسط صفوف المستمعين ، ناسين الساعات وهى تمـر ، مرددين فيما بينهم ، أسـماء مَن اختلبوا حب استطلاعهم •

وهناك جمع من السفسطائيين الغرباء ، آتوا كعادتهم ليدلوا بعلمهم وبلاغتهم أمام الأثينيين • فهذا الرجل الذى يبدو كالمحموم ، ذو الصوت الخفيض والاشارات التعليمية الدقيقة ، هو العالم بروديكوس المولود فى ايوليس، بجزيرة خيوس ، وهى مدينة قريبة جدا، وما أكثر ما حظيت مراضات أثينا بزياراته !• أما هذا الآخر، الرافل فى أثواب زاهية ، ذو المنطقة الذهبية الذى يتململ كى يلفت اليـه الأنظار ، فهو هيبياس من مدينة ايليس ، هيبياس الجميل ، الذى يشيد البعض بتبحره فى الرياضيات ، ولكنه هو يتباهى بأنه يعلم (بفتح الياء واللام) كل شىء ويعلم (بضم الياء وتشديد مع كسر اللام) كل شىء • ان فيـه لخيـلاء فاضحة سـاذجة ، وجلافة فلاح ، تحول ادعاءه ضحكا يثير المرح فى جمهوره الشاب •

وهناك غريبان آخـران يبـدو أنهما يتناوبان ارهاق فتى بالأسئلة ، الفتى مضطرب لا يحسن كتمان غيظه • وقد جلس الى جانبهما رجل قصير القامة بدين أصلع أقنى الأنف ذو عينين شزراوين تعرفه المراض بأسرها ، لأنه أليف فى كل الأماكن التى يؤمها الشباب ، وهو أحد الأثينيين الندر الذين لا يزاولون من الصباح حتى المساء غير هذه المهنة ، مهنـة السفسطة • انه سقراط ، من مقاطعة « آلوبيس » • وهـو

اليوم فى صحبة رجلين لم يعد الناس يراهما معه كثيرا منذ حين · لم يتجاوز أحدهما الثلاثين ، هادىء فى جلسـته · والآخر يكبره جسما وسنا وله نظـرة حادة شـامخة ، وتراه ينهض بين حـين وآخـر فى حركة مفاجئـة وكأنه متأهب لاسـتجواب الشـخصين دفاعا عن الفتى الذى يرهقـانه بأسئلتهما · ولكن سقراط يشير اشارة تهدئة ليمنع تدخله، بينما يشجع الفتى الثابت الجنان فى هدوء ورقة · فيخمر الفتى خجلا فى أول الأمر ، ثم يستعيد هدوءه فى شىء من الجهـد ، وفى نظـرة باسـمة الى سـقراط يلتفت الى السفسطائيين ، متهيئا لتلقى السؤال الخادع الذى سيلقيه الواحد أو الآخر ·

أما صاحبا سقراط فهما خرميدس واقريتياس ، من أقرباء آفلاطون الصبى الذى انسـل بين المجتمعين ، ووقف مستندا الى كاهل خرميدس ، مظهرا سرورا لا حد له مما يشاهد فى هذا المنظر الهائج · وكم من مرة تملى بمثل هذه المناظر ، وخاصة منذ أن خرج عن ولاية معلمه وأذن له فى أن يتجول مستطلعا حول المراض ، بعد وثب أو سـباق أو ملاكمة ، تحت اشراف أحد اخوته أو خاله خرميدس ، فى أكثر الأحايين · وقد مدت سنته الثانية أو الثالثة عشرة من أعضائه وقسماته ، ولو أنها قد أبقت عـلى نظرته الصافية ودهشاته العذبة ، وحب اسـتطلاعه المتأهب دائما المتجـدد أبدا ، شأن الطفولة ·

كل شىء لا يزال عنده لهوا : ففى السوق ، مناظر خيال الظل ومفاتن الساحر وتهاويله ، وفى الشارع ، صرخات العامة ونداءاتهم ، واختلاف الألوان وضـجيج الاشارات ،

والحمير السفيهة التى تسير قدما مصطدمة بكرام الناس ، وفى الملاعب ، الجو المثير الذى يبدو فى التمرينات وفى الأجسام الشابة الممتدة كجسمه فى جهد لذيذ ، والتوقيعات المنسجمة للمواقف والحركات ، ثم التراخى والأحاديث والضحكات ، على هيئة جماعات ، بين شبان ايفاع ، أو منظر معركة خطابية أو جدلية ، ولكنه لم ير حتى الآن من كل هذه المعارك العلمية الا ظاهرها ، غير أن بعض الألفاظ قد أثار في نفسه أصداء ، كما أن هذه المعركة الكلامية تصير أحيانا حادة لدرجة أنه يشاهدها ويتابعها فى لهفة وجد ، وكأنها معركة حقيقية • وقد قربت الساعة التى سيعلم فيها ما لهذه المعارك الفكرية من أهمية حيوية : أليس ابنا من أبناء أثينا التى تعالج فيها السياسة فى وضح النهار ، وتظل ممتزجة بالهواء الذي يستنشقه أهلها ، كما أن أسرته من أعرق وأمجد ما بها من أسر ؟ لقد كانت السياسة دائما بالنسبة الى جميع عشيرته ما هى صائرة اليه الآن بالنسبة الى كل مواطن حر ، أعنى رسالته الفطرية الأولى ، والنشاط الوحيد الذى يسمح له بنشدانه •

٢ ـ الأسرة والمدرسة

ولد أفلاطون عام ٤٢٧ ق•م فى عهد ديوتيمس وكان لا يزال فى مستهل الطفولة حينما توفى والده اريستون بن أورستكليس ، تاركا وراءه اثنين آخرين يكبران أفلاطون وهما اديمنتس واغلوقون وفتاة تدعى فوتونى • أما والدته افريقطيونى فقد وفقت الى الظفر بزوج عاشت فى كنفه ، ألا وهو قريبها بيريلامبس صاحب الطيور الذى ارتفع الى

الشهرة بفضل ما كان يقوم به من سفارات ، وكذلك بفضل الطواويس التى حصل عليها أثناء مقامه ببلاط ملك الفرس . هذا ما أحاط طفولته من مجد حاضر وماض لأسرته من أمه . وأغلب الظن أنه قد ترامى الى سمعه ذلك النسب الشهير الذى تبادلت فيه أسرة دروبيد وأسرة اقريتياس التزاوج منذ قرون خلت ، وليس من شك فى أن رأس الفتى طالما اختلطت فيه الأصلاب .

ومهما يكن من شأن افتخاره بعلمه أنه منذ مائة سنة على الأقل لم يتخلف أسلافه عن أعلى المراتب ، فلم تكن ولاية أمثال دروبيد فى منتصف القرن السابع أو ولاية اقريتياس حوالى القرن السادس لتعتبر أوضح ما سجلته ذاكرته . فقد اهتز قلبه الفتى بذكريات أخرى : اذ خلد سولون الشهير ، أحد أقربائه وصديق دروبيد القديم ، مفاخر العائلة فى أشعاره . وبقى الشاعر المرح انكريون صاحب حظوة فى بلاط هيباريخوس بفضل صلته الطيبة بأحد أفراد أسرة اقريتياس أو بفضل سخاء هذا الطاغية ، الذى كان أحد أجداد أفلاطون ، اذ كان جدا لأمه افريقطونى كما كان فى الوقت نفسه جدا لصديقيه وحامييه اقريتياس وخرميدس .

وما ان انتهى أفلاطون من حضانة النساء له ، حتى انتقل بطبيعة الحال كجميع الأطفال من أمثاله الى رعاية عبد مسن كان يقوده الى المدرسة . وقد تعلم أولا كيف يحسن هندامه ويجلس وينهض ويمشى معتدلا ، وكيف يتغنى بأناشيد وضعت تمجيدا لمدينته . ثم تلقن من بعد الكتابة ومارس القراءة بطريقة الانشاد على الدوام ، أو بمحاولة تتبع ورسم الحروف التى خطها مؤدبه على اللوحة وقد وضعها على ركبتيه

خاطا عليها بقلمه • واستطاع من بعد أن يكتب ما يملى عليه من قصائد كبار الشعراء وأن يسمع شروحها وأن يحفظها عن ظهر قلب ، فرأى ماثلة آمام عينه تلك المملكة الساحرة حيث كانت تنبثق فى كل خطوة مفاتن جديدة • كانت أولا المعارك التى دارت حول اليون ، ومغامرات اليوسوس وحكمته الدائمة ، فأنساب الآلهة المسيطرين على السماء ثم الريف والبحر والأيام الصالحة للبذر والرياح المساعدة للابحار قرب الساحل ابحارا مثمرا وجزاء العمل وثمار العدل الطيبة • وبعد أشعار هوميروس وهزيود تأتى مراثى سولون العذبة ، أو جمل تيوجنيس الميجارى اللاذعة • وفى هذا الجو من الحكمة الالهية والحقيقة الانسانية تفتحت وقويت نفسه • وثمة أساتذة آخرون علموه القيثارة والمزهر ، وأولع قلبه بأناشيد تيرتى العسكرية بينما كان يتعلم كيف يشكل مواقفه واشاراته حسب التوقيعات العذبة للألحان والرقص ، وكيف يهب جسمه مرونة بواسطة تمرينات المراض •

وكان كلما تقدم فى طور البلوغ وجد أساتذته الحقيقيين خارج المدرسة • وأول هؤلاء خاله خرميدس وابن عمه اقريتياس • أما خرميدس، فكان من شأن طبيعته الهادئة وما طبع عليه من تحفظ ألا تتاح له غير الأدوار الثانوية • وكان له بمثابة الصديق الصدوق الذى يستعين به كما يستعين بخير طبيعى فى غير تحفظ ولا التفات • وقد استطاع أن يحكم الرأى فيه فيما بعد : اذ هيأت له التجربة تقدير هذه الحكمة المترددة شيئا التى سنجدها لديه من بعد فى تلطيفه من حدة المخاطرات البالغة حد الجرأة دون أن يخفف من حدة اخلاصه • ولكن أى سحر وروعة كانت لشخصية

قوية جبارة كشخصية اقريتياس فى نفس هـذا الطفـل ذى العقل الحاد ، والخيال الجامح ، والرغبات التي لا تعرف بطبعها حدا ولا نهـاية • كان لاقريتياس القـديم صـديق انكريون ، ولدان هما كاليسكروس واغلوقون ، أما صاحبنا اقريتياس بن كاليسكروس فقد كان يكبر كلا من خرميدس وافريقطونى أبناء اغلوقون قرابة عشر سنوات • وقد تولى وصاية خرميدس الذى ظل له تابعا مخلصا على الدوام معجبا به أبدا • وكان كاليسكروس مفرطا فى الثراء ؛ فتمكن والده فى سن مبكرة من أن يختلط بالشـباب الزاهر الذى أدهش أثينا ، كما جلب اليها العار ، تحت لواء ألقيبيادس الجميل • ولم يكن اقريتياس مجرد صديق لهو لألقيبيادس ، انما جعلت منه نبالته ندا لابن أخى بركليس (القيبيادس) ، وان لم يكن على نفس القدر من المرونة أو الجاذبيـة الفـذة التى أحبتها أثينا حينا ونقمت عليها حينا آخر ، فان روحه كانت مشتعلة كروح ألقيبيادس ، وكان حب استطلاعه العقلى أعمق وأشد صلابة •

تتبع كل منهما دروس سقراط ودروس السفسطائيين ؛ ولكن القيبيادس الذى تفتحت أمامه سبل الحـكم من تلقـاء نفسها هرول خلالهـا بكل جـوارحه ، ولم يطلب من بلاغة العصر وفلسفته الا القدر الذى يكمل به قدرته الفطرية فى التأثير على الناس • أما اقريتياس فقد عض على ناجذيه من غير شك ولكنه شغل أوقات فراغه فى الاستزادة من العلم ، وفى التحضير فى أعماله الأدبية كذلك • فرافق جورجياس الليونتيومى أستاذه فى الخطابة ابان مقامه بتساليا ، وأفاد من مقامه هنالك فدرس نظام تلك البلاد السياسى • وعنى كذلك بدراسة دساتير اسبرطه وأثينا دراسة مقارنة • هذا ، ولم

تصرفه عنايته بالسياسة عن مطامحه الأدبية ، اذ كان الأدب نفسه من جهة أخرى منبرا بالنسبة اليه • فكان له أسلوب كبار الأساتذة ، أسلوب سلس واضح وان لم يخل من حدة في الوقت المناسب • كان يتحدث به دون اضطراب ، في لغة بسيطة متزنة ، لغة المجتمعات الراقية ، عن الأشياء التي تعد على درجة كبيرة من الخطورة • لقد عرف كيف ينظم المراثي ويؤلف المآسي التي كان ينطق فيها شخصيات لا تقل قدرة على التفكير عن شخصيات يوروبيدس ، بأفكار العصر وآماله ، مما جعل الناس في المجتمع ينظرون اليه كمفكر ، فتردد عليه السفسطائيون والشعراء مزهوين بأن يجدوا في هذا الفتى النبيل الطموح السخي تلميذا ، أحرى من أن يكون منافسا • ولقد تدلل أفلاطون على خاله خرميدس ، ولكن اقريتياس الذى كان يعلم كل شيء والذى كان أليفا حيث حل ، والذى أكد وحكم في حماس المتلهف الشهوة التواقة الى القوة ، والذى اقترب بحمية وقوة من سحر الأدب الجميل ومن الشعر (أقول كان اقريتياس) له رائدا وأستاذا ابان عهد المراهقة •

٣ ـ السفسطائيون

تلك المراهقة التي لم يعوزها أحد من المعلمين • فهاهم من أطلق عليهم عندئذ اسم السفسطائيين أو الحكماء قد تنافسوا في عرض أنفسهم على جمهورهم الفتى هناك ، حيث لا يشكون في وجوده ملتئما أعني في المراضات وفي الملاعب • فكانوا يختلطون في مجتمع الهواة والأقارب أو الأصدقاء ينتهزون أقل مناقشة ليبسطوا علمهم وحذقهم

فيبدءون بحصار الناضجين من زبائنهم ، موقنين من احراز دعاية مثمرة من وراء ذلك • وحالما يبدو الشبان يشيدون بنبوغهم ويسألون عن أسمائهم وعن آسرهم ويجدون دائما الفرصة لاجتذاب انتباه البعض منهم ويسوقونهم الى الحديث ويستدرجونهم بوعود خلابة • وقد يهرعون الى هنالك أحيانا يتبعهم موكب مختلف المهابة يتألف من طلبتهم المنتظمين • فيتجولون فى الأروقة أو يتابعون وهم جلوس وسط حلقة من المعجبين خطبة براقة أو مناقشة حارة لا تخلو من أن يشترك فيها عدد لا بأس به من أيفاع محبى الاستطلاع • ثم يأتى اليوم ان عاجلا وان آجلا وقد أصبح هؤلاء المتطلعون المتواترون طلابا منتظمين • يألفون فى هذه الأثناء وجوه مشاهير السفسطائيين ويعتادون طرائقهم فيتناقشون حول قيمة كل ويقلدون حركاتهم وعباراتهم المشهورة • ويتذاكرون فيما بينهم الأثمان التى وضعها هؤلاء الأساتذة المرغوب فيهم قيمة لدروسهم ، ويرددون أسماء زملائهم بالأمس أولئك الفتية الذين أسعدهم الحظ والجاه بالاختلاف اليهم • ويعودون من المراض الى المنازل وقد امتلأ كل منهم بهذه الضجة فيحيطون آباءهم بأخبارهم ولجاجهم • وفتمسى المدينة وقد اهتزت بالحماسة التى أثارها التعليم الجديد •

•• انبثق هذا التعليم طبيعيا بحكم الضرورات التى أوجدها ظهور الديمقراطية فى المدن اليونانية ، وخصوصا انتصارها النهائى فى آثينا • فالتربية القديمة التى كونت من اختصروا فى مراتون وبلاتيه بدت قاصرة يوم لاحظ كل فرد أنه لكى يصبح واليا أو قائدا أو لكى يظفر بأية سلطة كائنة ما كانت أو يحتفظ بها ، كان لابد له أن يعرف كيف يكتسب ثقة الشعب المسيطر عن طريق ذلك الذى لعله أن يكون المغرى

دائما لكل الجماهير والذى كان شـديد الاغراء بالنسبة الى الجمهور اليونانى على وجه الخصوص : أعنى الكلام الرنان البارع · فلم يكن مغنيا فى هذا الصدد أن يكون المرءِ قد تعلم حسن اللهجة وطيب الخلق وشيئا من النحو أو أن يكون قد عرف أعمال فطاحل الشعراء من حكمة عميقة وعبارات دقيقة ، انما كان الواجب أن يكون فى مقدوره الكلام فى كل حين وعن كل موضوع أمام قضاة شديدى التأثر · ولعل الخصم أن يكون قد ظفر بهم من قبل أو على الأقل قد حاول منذ قليل أن يستولى عليهم ليجذبهم الى جانبه · فكان من الواجب عليه اذن أن يكون قد حصل معارف متنوعة ، وأن يجعل فى متناول يده بوجه خاص خزانة من الحجج توصل الى جميع الغايات ، وأن يكون له من حضور البديهة ما يمكنه من استثمارها بأن يكيفها تبعا للظروف وتبعا للجمهور · أما الأساتذة الذين كانت تتطلبهم الظروف فقد كانوا يتقدمون بأنفسهم ·

وجد دائما منذ عهد هوميروس وهيزيود واكسينوفان منشدون أو مغنون متجولون يسمون أنفسهم الشعراء المنشدون يفدون على قصور الملوك والطغاة · ثم أخذوا يذهبون فيما بعد الى أسواق المدن المتواضعة فى أيونيا أو اليونان أو صقلية يرتلون أشعارهم أو يرددون الروائع الكلاسيكية · أما المتأخرون من أحفاد هؤلاء الشعراء فلم يحسنوا التسلح لمواجهة سيطرة النثر وربما كان مآل ذكرهم الى الزوال بغير رجعة لو لم يستدعهم خاصة الواقع المؤلم للمشاحنات السياسية والاجتماعية الى الحياة ثانيا والى الازدهار فى ثوب محاضرين جائلين وأساتذة أحرار للخطابة · فعادوا يجوبون المدن اليونانية ينقبون عن المجد والثروة

مثلهم فى ذلك مثل أسلافهم • ولكن أيا ما كان المكان الذى اتوا منه ، سواء أكانوا من تساليا أم من ايطاليا الجنوبية أو كانوا من صقلية وايليس وأولمبيا أم من ديلف ، فانهم قد يمموا جميعا شطر أثينا ـ « المحبة بطبعها للخطب الزاخرة بالكلام » ، اذ كانت تنطق بلغة سلسة واضحة أصلح ما تكون لأن تصبح لغة متوسطة بين اللهجات اليونانية الأخرى قابلة دون مشقة لأن تتكيف تبعا لجميع دقائق التفكير ووفقا لكل حدة فى الأفعال • كانت أثينا أيضا فى أوج علوها حوالى منتصف القرن الخامس وقد كفل التوازن الذى وصلت اليه الحكومة الشعبية وقتئذ الحماية والحرية على السواء لكل القوى المجددة • الى هنالك ذهب سنة ٤٤٤ق•م بروتاجوراس، هذا السفسطائى البارز من مدينة ابديرا فى ترافيا ، ونعم بالحظوة لدى بركليس الذى ناط به ايجاد دستور لمستعمرة توريو التى تأسست على انقاض مدينة سيبارس ، وطالما تردد على هذه المدينة • فكانت أنبل الأسر تفخر باستقباله وأخذت تفتح أبوابها على مصراعيها لمستمعيه المشوقين ، وكان خبر حضوره يجعل النشوة تسرى فى الفتية • وكانت الاشاعات التى يطلقها حول المبالغ التى يكتسبها من جولاته للمحاضرة بمثابة اعلانه الأول : أفلم يذهب الناس بعد وفاته الى حد القول بأنه اكتسب من النقود أكثر مما اكتسبه فدياس وعشرة نحاتين آخرين معا ؟

أما جورجياس الصقلى فقد عرفته أثينا لأول مرة كسفير أرسله مواطنوه من بلدة ليونتيوم صيف عام ٤٢٧ ق • م استنجادا بها ضد سراقوزة • وكان قد أشرف على الستين • وكان لجلال مظهره وفخامة ملبسه وعلى الأخص لانسجام كلامه انسجاما رقيقا وفخامة هذا الكلام البراقة بعض الشىء ، كان

لهذا كله نجاح باهر . وعلى الرغم من أنه قليـل الحظ من الجدل ، فانه كان فنانا كاملا فاستطاع أن يخلق لنفسه أسلوبا خاصا عنى فيه بالكلمات الخارجة عن المألوف وموقعا توقيعا ملئا بالطباق والجناس ، فكان يحيط بهـذا الرنين أكثر الأحاديث ابتذالا فيقصر الانتباه عـلى جمـاله الرنان . ثم أصبح هـذا النـوع من البـلاغة وحيا للأثينيين ، وسرعان ما صار الأسلوب الجورجياسى بدعا سائدا .

وأتى بروديكوس هو الآخر من كيوس بصـفته سـفيرا وكان رجل (التدقيقات) : اذ كان مشهورا بعلمه بالمترادفات وبالدقة المتناهية فى لغته . كان هو وهيبياس عدلين تقريبا وكانا من جيل متأخر عن بروتاجوراس وجـورجياس . أما ترازيماخوس الخلقدونى فقـد أتى فى بتانيا وهـو مؤلف كتاب « الفن الكبير » وكان بارعا فى اللعب بالعواطف . وكم من آخرين يقلون شهرة عن هؤلاء ولـكنهم لا يقلون عنهم ادعاء قد تعثروا فى آخاديد كبار السـفسطائيين يتلقطـون نصيبهم من المجد والمال ! . وفى آثينا ، حيث كان التعليم مسألة خاصة تراقبها الدولة عن بعد وكان لا يزال أوليا جدا الى ذلك الحين ، نشأ هكذا فجأة نوع من التعليم العالى فى صورة محاضرات المعرض أو دروس خاصة سرعان ما شاعت . ولما كان هذا التعليم قد أوجد لاعداد شباب يحيا حياة مواطنين منتجين لم يجد أفضل من أن يزودهم بثقـافة عامة سريعـة بقدر ما هى براقة ، تمرين صورى صرف وليس ثمة من مثل أعلى آخر فى عرف الفضيلة السياسية والمدنية ، غير معرفة الكلام بنجاح فى المحاكم والمحافل .

وحينما بلغ أفلاطون طور البلوغ ، كان بروتاجوراس قد مات منذ عدة سنوات . وبعد أن جاب جورجياس اليونان

بأسرها ظل فى لاريس بتساليا حيث توفى عن نيف ومائة سنة بعد سنة ٣٨٠ بعد أن عرف كل الانتصارات ، وكان قد تجنب بكل عنـــاية ، خـلال ذلـك المجـد وتلك الثروة ، كل المشاغل سوى فنه الخاص • ولكنه هيبيادس وبروديكوس كانا لا يزالان فى تمام نضجهما• وهما تلميذا بروتاجوراس وجورجياس وقد حلا محلهما في المهنـة وجمعا من حولهما التـلاميذ • وبقدر ما كان حب اسـتطلاع أفلاطون العقلى وتأمله يتزايدان على مر السنين ، بقدر ما أتيح له من فراغ يمكنه من أن يتنقل من سفسطائى الى آخر وأن يقـارن بين تعليمهم ومناهجهم ووسائلهم •

لم يبـدأ الشباب منذ اليوم فحسب بدراسة أسـاتذتهم قبل دراســة محاضراتهم وبالوقوف على جنونهم وبتحديد نزواتهم ولوازمهم فى صرامة لا هوادة فيهـا • فقـد قـدم السفسطائيون مادة جميلة للمكة الملاحظة اللطيفة عند فتية الأثينيين ، وهم مدرســون أحـرار مضطرون الى السـعى بأنفسهم وراء جمهورهم فان أرادوا الاحتفاظ بذلك الجمهور كان عليهم أن يشتركوا فى مسابقات حـرة غاية فى المهارة فكان مفروضـا عليهم اذن أن يقوموا بدعاية مسـتمرة • ولـم يكن من الواجب عليهم أن يكيفوا أنفســهم حســب مقتضيات الأيام فحسب ؛ بل كان عليهم كذلك أن يجددوا فيها وأن يتجاوزوها فى شىء من المبـالغة أو بشىء من الغرابة الظاهرة ، وعن هذا الطريق سعوا دائما نحو التأثير أو المبالغة أو الصنعة فى اللغة بل وفى الملابس وغالوا فى الشذوذ حتى بلغوا به حد الاضحاك ، وأخيرا فانهم لم يبذلوا تعاليمهم دون مقابل نقـدى ولقد ظهروا فى هـذا الباب بمظهر المتباهين والمتشـددين فاحتقرهم شـباب الأرسـتقراط الذين كانوا

يترددون عليهم : ناظرين اليهم كتجار وباعة متجولين ووجدوا لذة فى الانتقام على هذا النحو من غطرستهم ، ومن دروسهم المرتفعة الثمن التى لا محيص لهم عنها ومن تأثيرهم الذى لا يمكن دفعه ٠

٤ ـ روح العصر : الروح العملية

كان هذا التأثير يزداد شدة كلما كانت نفوسهم أسلس قيادا وأقل شخصية ٠ هذا ولم يكون السفسطائيون مدرسة ؛ فلم يكن لهم على وجه التحقيق مذهب قائم بذاته ٠ بل كان يتردد عليهم فريق مشترك وكانت لهم رغبة متساوية فى ارضائهم ، ومهما يكن من أمر مواردهم الثقافية وميولهم المختلفة ، فقد كانت لهم جميعا نفس الرغبة فى اشباع ميولهم الأساسية ٠ فان المنافسة القائمة بينهم قد قربتهم من ذوق جمهورهم وحاجاته قربا شديدا ٠ ولم يكن همهم الطبيعى ايجاد أفكار جديدة ، بقدر ما كان من التلاؤم والأفكار الموروثة ومن تملك هذه الأفكار بصياغتها فى عبارات أبسط وأقرب الى الذهن أو بالباسها أثوابا أفخم ٠

فلم يخلقوا الشك بازاء المذاهب القائمة ولم « ينزلوا الفلسفة من السماء الى الأرض » ٠٠ فالمذاهب قد عفى عليها بمجرد تعارضها وتناقض بعضها مع بعض، وأفنى نقد زينون الايلى أو تلاميذه : الأجزاء الرئيسية من المذاهب الكونية بعضها ببعض حتى لم يبق منها الا رماد ، وأصبح دور من يريد أن يفسر ما يجرى فى السماء أو يروى حدوث العالم مضحكا ؛ لدرجة ان الهزليين لكى يهزءوا بالسفسطائيين

وبسقراط نفسه هزوا لاذعا دون أن يجهدوا أنفسهم فى غير طائل لم يجدوا خيرا من أن يدثروهم بهذا الثوب البالى ·

عاش هذا الجيل الجديد على الأرض وتحول حب استطلاعه الذهنى الى هذه الأرض والى الانسان الذى يحيا فيها ، أى نحو الجغرافيا والتاريخ والطب ودراسة « الأهوية والمياه والأماكن » من حيث تأثيرها الطبيعى والمعنوى ، ثم نشأة المدن وأصول القوانين والدساتير والفوارق بين الشعوب والاختلاف فى العادات والاعتقادات « عقلية البدائيين أو من يعيشون على الفطرة » ـ تلك هى المسائل التى تحدثوا فيها والعلوم التى أوجدوها ، وكان ايمان هذا القرن بقدرة الابتكار الانسانى ايمانا لا حد له · هذا الابتكار الذى كان يؤسس المدن ويوطد الشعوب ويبتكر الجماعات والأديان والآلهة ·

ولم يكن شك مدرسة ولا قنوطا ميتافيزيقيا ولكنه كان قبل كل شىء يقينا عاما بقدرة الانسان التامة وهو ما يعبر عنه قول بروتاجوراس : « الانسان مقياس كل شىء · فهو يعتبر بعضها موجودا وبعضها الآخر غير موجود » · فان سنت المدن القوانين ، فان هذه القوانين عادلة · أعنى لها قيمة طالما تراءى للمدينة أن تحتفظ بها ، وما له قيمة ها هنا ليس له قيمة فى مكان آخر ، كما أن ما له قيمة اليوم قد يفقدها فى الغد ، وتغير هذه القيمة يتوقف لا على ظروف مستسرة غريبة ولكن على الأحوال الروحية المتغلبة لطائفة من الأفراد ، أحوال روحية يوجهها الفرد الأذكى حسبما يهوى · وليس ثمة حالة روحية أصدق من أخرى ، انما هى أحسن منها فحسب ، أعنى أكثر فائدة وأكثر وفاقا مع الضرورات

القائمة • والرجل الذى يعرف كيف يعالج المعتقدات يتمثلها ويجعلها صادقة مثـل الطبيب الذى يداوى أجسـام مرضاه ويشفيها •

وصبغة هذه النزعة العملية أقل دقة عنـد جورجيـاس لأنه بدلا من أن يحلل بهذه الطريقة النفاذة الأحوال الروحية للذات وما تعنيه من تحولات نراه يقف طويلا كى يشيد بقوة الكلام أداة تلك التحولات • كان جورجياس أستاذا للبيـان فحسب، كما كان يريد بروتاجوراس أن يكون معلما للفضيلة، أعنى المهارة فى الشئون الخاصة والشئون المدنية لذلك جعل جورجياس من الوسية غاية • فقـد نشـد المتعة فى القـوة الاقناعية للكلام وفى الوسـائل التى تؤيده وتبلغ به حـد الكمال • ولم تكن تلك القوة الاقناعية ثمرة الدرس ولا ثمرة علم مكتسب متعلق بموضوع البحث ولم تنشأ عن اقتناع يمكن نقله ولكنها والى حد ما ، هبة فطرية فى الخطيب وهى الى حد أكبر سر من أسرار الكلام • ولا ينبغى أن تستخدم المناهج القويمة الا فى استخراج هذا « السحر الذى فى الكلمـات » على أحسن الوجوه •

ولعل جورجياس لم ينكر فى تعاليمه العـادية وجـود حقيقة ما • ولكنه ذهب فقط الى القول بأن معرفتهـا غـير مفيدة ذلك أنه فى كل موضوع « يكون نجاح من يحسن البيان فى امتلاك أعنة القلوب مؤكدا عن نجاح رجل المهنة مهما يكن أمره » • ونحن نرى أن الموقف فى جوهره عملى دائمـا • فليس المطلب هو المعرفة أو التعليم ولكنه العمل والدفع الى العمل • فالعقل الانسانى لا تسببه الحقيقة ولا تسيطر عليه، ولكن العقيدة هى التى تفعل ذلك والكلام المصوغ بفن هـو

سيد هذه العقيدة . وليس في وسع المرء أن يشيد بسحر الكلم كما فعل جورجياس دون أن يمعن في الاعلاء من شأن ما هو أقل تأثرا بالعقل وما هو أشد تأثرا بالاندفاع والعاطفة . وها هو ذا جورجياس قد أعلن أن الخطيب لا يمكنه أن يتحكم في العقيدة والرأى كما يشاء دون أن يهز المشاعر . ومن بعده كتب ترازيماخوس مؤلفه « فن اثارة الشفقة » وتخصص في « البلاغة العاطفية » .

٥ ــ مذهب الشك

كانت معارضة العقيدة بالعلم نغمة قديمة في الفلسفة اليونانية . فاكسينوفان جد الفلاسفة الايليين قد أعلن منذ أمد بعيد أن كل علمنا عن العالم ليس سوى ظن . وبارمينيدس من بعده قد اعتبر العالم خداعا خالصا ، فتحول عنه باحثا عن الكائن الثابت وعن الحقيقة « كما يعرفها الآلهة » . أما أكبر تلاميذه زينون فلم يحتفظ الا بالجزء السلبى من مذهب أستاذه . ولقد حطم كل علم نظرى عن طريق نقده الهدام . ولدينا شخصية أخرى هي انبادوقليس من أجريجانته وأستاذ جورجياس اذ كان رجل المفارقات حقا . فهو على العكس من بارمينيدس قد سلم في صراحة بالحقيقة الانسانية البسيطة وشرع في قص حدوث العالم وتطوره . ولكن هذا لم يمنعه من البحث فيما يتضمنه العالم من « حقيقة الهية » التمسها في بوارق الالهام عند الفرق الصوفية . فقد كان انبادوقليس اذن فيلسوفا طبيعيا على النحو القديم مبشرا بالنحلة الأورفية ، وخطيبا يهز مشاعر الجماهير ، وفنانا يشعر شعورا صادقا بمدى ما تحمله كلماته ومواقفه من

احتيال فلهذا كله كان بمثابة حلقة اتصال بين العلم المهجور وبين الايمان بالفعل الجبار ٠

وجد السفسطائيون اذن السبيل ممهدا ٠ بعد أن زال كل اعتقاد في الحقائق الانسانية أو الالهية على السواء ، ولكن قوة الرأى العام آخذت تزداد شيئا فشيئا ، فكل مدينة مهما ضؤل شأنها كانت دولة ذات سيادة ٠ وفى هذه الدولة وجدت طائفة على الحياد تتألف من الأنغال والعبيد وأقلية ممتازة ألا وهى : المواطنون ٠ وكانت الحقوق السياسية وقفا عليهم فكانوا يكونون فى مجتمعهم « اكليزيا » كومة من الأفراد متساوين في حق التصويت وفى حرية العمل ، كما كانت لهم روح الجماعة : روح تهتز وتخضع لكل نسمات البلاغة ٠ فلا ندهش اذن اذا كان السفسطائيون وتلاميذهم قد اعتادوا ألا ينظروا الى أى موضوع الا من الناحية الخطابية ٠ واعتبروا معيار الحق والحقيقة ما للفكرة من قدرة على الاقناع أو نصيب من النجاح ، فكان طبيعيا جدا أن ينقلوا براعتهم فى الدفاع وطريقة « الأخذ والرد » فى تمريناتهم المدرسية الى أجل المشاكل خطرا والى مناقشة أشد المبادىء أهمية ٠ وعلى هذا النحو حولوا الشك السائد فى ذلك العصر الى صيغ وحجج ، وساهموا فى تحطيم كل ما كان يمكن أن يقف حائلا دون أطماعه فى القوة والسيطرة ٠

ليس للفعل الانسانى مصدر ولا مادة غير الانسان : فعلام اذن هذا الاهتمام بكائنات خفية ليس فى الوسع أن نشهد لها آثرا أو وجودا ؟ ٠ وعند هذا الحياد وعدم الاكتراث وقف بروتاجوراس يقول : « لا يمكننى أن أعرف ما اذا كان ثمة آلهة أو لا ، كما لا أستطيع أن أعرف صورهم ٠

هذه مسألة قليلة الحظ من الوضوح وما أقصر عمر الانسان!»
وقد تواتر منذ عهد اكسينوفان فى الواقع القول بأن الانسان يخلق الآلهة على صورته • ولكن اكسينوفان لم يعترض على هذه الآلهة البشرية الى حد كبير الا لكى يؤكد على خير الوجوه السمو الالهى • والمعتقد أن ترازيماخوس لم يكن يود أن تفلت من يده هذه الحجة ضد العناية الالهية وأعنى بها حجة انتصار الأشرار • أما بروديكوس فقد فسر أصل الآلهة بأن قال : « لقد أله الانسان ما ينفعه : الشمس والنجوم التى تضىء له ، وديونيزوس وديمتريوس اللذان يقومان من أوده » •

ما عسى أن يكون أثر هذه المذاهب التى يتجاوبها كل مكان فى الفتى أفلاطون ؟ لقد « ارتشف مع لبن الرضاع هذه المعتقدات المليئة بالسحر ، التى وصلت اليه عن طريق أحاديث الأمومة العذبة ، والمذبح الفخم ، والصلوات التى تعقب العبادة المنزلية كل يوم » • والى أن بلغ عامه الرابع والعشرين، كان يتحدث فى شىء من الحماس عن دروس النسك العائلية هذه • وكانت له فى طفولته تلك الروح الشاعرية التى ظل محتفظا بها حتى يومه الأخير ، الى جانب هذا النظر القلبى الذى يخلع الصورة على ما لا يرى • ولكن بأية لهجة مليئة بالرحمة الرفيقة سيعظ فى شيخوخته هؤلاء الشباب الذين كان يدفعهم كل شىء الى الفسوق : نتيجة تهور الشباب واندفاعه وتآمر كل هؤلاء المعلمين الجهلاء فى غير وعى ، من شعراء وخطباء وعرافين وكهان ، ثم علم الفلاسفة الكاذب ! أناشدكم الله أيها الشباب أن تنصتوا الى : « لا زلتم أحداثا وسيغير الزمن من شعوركم فانتظروا الى ذلك الحين ، ثم أصدروا حكمكم بعد ذلك فى هذه المسائل الخطيرة •

ثقوا في شهادتي فلستم أول من تحدث بمثل هذه الأفكار عن الآلهة • ولقد وجد دائما من تحدث بها وعرفت منهم كثيرين • أؤكد لكم أنه ما من أحد أنكر وجود الآلهة في شبابه قد استمر على هذا الرأى الى أن بلغ الشيخوخة » •

لقد كان أفلاطون فى شبابه كذلك متغطرسا تواقا الى الحياة ، واثقا من نفسه ، سهل التأثر كأى شاب آخر • فاذا كان من الممكن أن يزدرى أو على الاقل يتجاهل الآراء الدينية للأساتذة الذين لم ينصت اليهم الا على سبيل حب الاستطلاع ومن أجل أن يتعلم منهم كيف يحسن التحدث فحسب ، فكيف يتأتى له اذن أن يتجاهل أفكار قريبه وصديقه اقريتياس ؟ لقد كان هذا شاعرا هو الآخر ، ولكن شعره من النوع الجاف الخالى من الروح الذى يصلح للتهكم أو لعله يصلح لتلك البسمة المقتنعة بالانكار • وكل شيء يحمل على الاعتقاد أن بطل درامته سيزيفوس كان مترجما عن فكره الصحيح حينما قص علينا كيف يتقدم الانسان بخطى بطيئة من الحياة الحيوانية الى أن يرتفع الى أعلى الأفكار الخلقية والدينية • ولكن كلمة « أفكار » هنا غير مناسبة : فهى مخاوف ومخاوف موحى بها تغذى بمهارة فائقة • هى أكذوبة حكيم قد خلق الآلهة شهداء منتقمين للجرائم الشديدة الخفاء • والجماعة بغرائزها ومعتقداتها وكل ما فيها من شيء مقدس كل هذا اصطلاح وتواضع وصناعة مقصودة • فاذا كانت مثل هذه المذاهب قد ظهرت دون أن يعوقها عائق ما ، فلماذا اذن لم تفسد الروح الجمعية ؟

البيئة السياسية

١ ـ السياسة الواقعية

ان القيد الذى تئن منه ارادة القوة أنينا موجعا هـو ذلك الشىء الهش العنيد الذى يسمونه : الحق · فانه يعوق ارادة القوة فى مناوراتها وفى التمتع بما تظفر به ، وهـو لا يسام ولا يموت ، ويحول بينها وبين أن تفرض نفسها · ولما كانت حريصة على تبرير عنفها ، فانها تنعت احتجاجات المقهور بالنفـاق : « لا يلعن الظلم الا من لا يقـوى عـلى ارتكابه » ·

وفى وسعنا أن نتساءل ما اذا كان ترازيماخوس الذى نسب اليه أفلاطون هذه العبارة قد قال حقا فى تعاليمه ان العدل منفعة الأقوى ، وان بولوص تلميذ جورجياس قد أيد حقيقة الرأى القائل بأن الظلم التام والطغيان الظافر هـو السعادة العليا · فمؤلفاتهم ليست بين أيدينا · ولكن لدينا التمرينات المدرسية نقلها طالب سفسطائى فذم فى مؤلفـه « الأقوال المزدوجة » · ففصله المعنون «فى العدل والظلم» ، يشهد بأن هذه التعاليم قد ولدت الشك الذى قاد الشباب من الخطباء الى أن يتناولوا ، بالتأييد أو الانكار ، جميع المسائل حتى مسائل الأخلاق الاجتماعية · وتوقيديدس شاهد من طراز آخر · فهو ينسب هذه الصيغ من السياسة الواقعية الى

ممثلى أثينا أنفسهم حينما كانوا يجـادلون الميليين قائلين : « الناس كالآلهة يبغون السيطرة • فاذا تساوت الضرورة بين الطرفين انتظموا على العدل • واذا اختلفت شطح الأقوياء الى أقصى حدود قوتهم وليس على الضعفاء الا الخضوع • هـذه هى القاعدة الثابتة منذ الأزل ، آن يكون الأضعف خاضعا للأقوى » •

ليست هذه الأشياء لدى المؤرخ ذكريات بالية من عهـد المدرسة ، وانما هى المبادىء التى سيطرت فى تلك الآونة على سياسة جميع الولايات اليونانيـة وهى التى انقـادت لهـا الأحزاب فى كل ولاية • ففى الصراع الذى قام بين أثينـا واسبرطة منذ عام ٤٣١ ق•م وشمل جميع مقاطعات اليونان على وجه التقريب بالمعارك أو الدسائس ، لذ لاسبرطة أن تنصب نفسها بطلة الدفاع عن حرية المدن الصـغيرة ضـد الاحتلال الأثيني • ولكن مذهبها هذا فى الحرية لم يصدر الا عن حقدها الأزرق ضد أثينا ولم يمنعها فى سنة٤١٢ق•م من أن تؤدى مساعدتهـا الماليـة وحلفهـا مع ملك الفرس بمعاهدة سلبت المدن الأيونية ما تمتعت به من استقلال خلال ٧٠ عاما وأنكرت فيها ماضى بلاد اليونان المشترك •

وبالقدر الذى تسممت به الوطنية اليونانية من جراء هذه الحرب بين المـدينتين تسممت كذلك الوطنيـة المحليـة فسرعان ما أصبحت هذه الحرب لا حربا بين سياستين فقط ، بل وحربا بين الطبقات لا هوادة فيها ولا لين • ولأول مرة فى كوركيرا عام ٤٢٧ق•م وهى نفس السنة التى ولد فيها أفلاطون ، أضـافت الحرب الداخليـة بين الأرسـتقراطيين والديمقراطيين الى فظائع الحرب الخارجية وحشية تفوقهـا

فظاعة · واغتصب الأرستقراط الحكم عنوة بتأييد كورنثوس واسبرطة · فقامت معارك دامية فى الشوارع ، وفى المنازل ، ونهبت المدينة وأحرقت · أما فى البحر فان الأسطول الاسبرطي ـ الكورنثى كان يفر من الأسطول الأثينى ، وهكذا استعاد الديمقراطيون الثقة ؛ فظلوا سبعة أيام يحاكمون ويتهمون ويقتلون من بقى من أعدائهم ممن لم يقتلوا أنفسهم يأسا وغضبا · وسرعان ما عانت بلاد اليونان كلها هذا التمزق · وهكذا انقسمت كل مدينة على نفسها وأهاب رؤساء الأحزاب الشعبية بالأثينيين بينما أهاب الأرستقراطيون باللاقوديمونيين · وتحت ستار ايجاد المساواة أو اعادة دستور الأجداد ؛ لم يفعل رؤساء هذه الأحزاب أو تلك أكثر من أن يتناوبوا السلطان فيما بينهم ارضاء لمطامعهم أو لتراثهم · وأصيبت آثينا نفسها وهى حصن الديمقراطية بهذه النكبة فرأت دستورها يتزعزع وحريتها تختنق فى الدماء ثم تبعث بالدماء ، وفشلها أو نجاحها لم يعودا الا تعلة للثورات· وأخذ أعداؤها عن اعتقاد أو عن هوى يسلحون قواتها أو يهدمون قلاعها عن طريق مواطنيها أنفسهم · وهكذا عاش أفلاطون، بين الخامسة عشرة والثلاثين من عمره ، فى كل هذه الأحداث الرهيبة ·

٢ ـ نكبة صقلية

وحكومة الأربعمائة

أبرمت فى عام ٤٢١ق·م معاهدة سلام بين أثينا واسبرطة عرفت ب « سلام نيقياس » · ولكن الشكاوى المتبادلة من

الطرفين وحركات المحالفات الدفاعية بدأت منذ اليوم الثانى لابرام المعاهدة • وأصبح هناك حزبان جديدان يواجه أحدهما الآخر : اسبرطة مع طيبة وكورنثوس ، وأثينا مع أوجوس وايليس ومانتيانه • وكان أول انتصار دبلوماسى أحرزه القيبيادس هو نجاحه فى عزل اسبرطة عن هاتين المدينتين الاخيرتين . كما كان يحلم بانتصارات حربية يمكن أن تهيىء له مركزا مساويا لذلك الذى كان لبريكليس الوصى عليه • فأيد بكل ما أوتى من قوة حملة صقلية حينما اتى سكان سيجنت شتاء عام ٤١٦ ق•م طالبين النجدة ضد سراقوزة • وكانت أغراض هذا المشروع مقبولة كما كانت فرصة للنجاح جميلة • ولكن عرقل الحملة أن كان القائمون على أمرها هم لاماخوس الجندى الممتاز المطيع الى حد كبير لآراء زملائه ، ونيقياس كبير الأرستقراطيين وعدو القيبيادس ، وكان كثير التردد فى القيام بتلك الحملة وطالما رغب فى منعها ، والقيبيادس الذى كان لتأثيره وعلمه الحربى ودسائسه ما مكن المشروع من النجاح رغم الوقت الذى ذهب هباء فى أول الأمر • ولكن مركزه سرعان ما تزعزع حينما نسبت اليه تهمة أرغم على ألا يجيب عليها ؛ فاستدعى فى سبتمبر عام ٤١٥ ق•م للعودة الى أثينا وهناك مثل أمام قضاته •

حدث فى اللحظة التى كانوا يعدون الأسطول للرحيل فى ليلة من ليالى مايو أن وجدت تماثيل هرمس وقد شوهت وجوهها • تلك التماثيل التى كانت توضع أمام المعابد أو المنازل الخاصة والتى شرفها الأثينيون أكثر من غيرهم فى عبادتهم • فلما زايل الشعب ذهوله نادى بأن هناك مؤامرة • فقدمت اتهامات عدة : استهدف لها أول الأمر القيبيادس فاتهم بأنه قد مثل الأسرار بطريقة ساخرة

فى أحد الاجتماعات المرحة · ثم اتهم أيضا عدد من الشباب الذين ينتسبون الى أرقى الأسر · قيل انهم وجدوا وهم يعبثون بتماثيل هرمس: وكان بينهم أقريتياس وأندوسيدس أحد أبناء عمومته · فثارت ثائرة القيبيادس وطلب المحاكمة؛ رغبة ملحة منه فى أن يزعزع الاتهام · ولكن أعداءه فضلوا الانتظار حذر الشعب والجيش · وقد فضلوا هدمه دون اتهام أثناء غيابه · وأجلوا تقديمه للمحاكمة حتى يكون مركزه قد تضعضع · رحل القيبيادس اذن مع الحملة ؛ ولكن أقريتياس ظل سجينا مع المتهمين الآخرين · وكان الموت سيكون نصيب الجزء الأكبر منهم لو لم يعلن أندوسيدس عن نفسه أنه على رأس المتآمرين فأنقذ بهذا الاعتراف أو بهذه الكذبة حياته وحرر الباقين · ولما اتضحت مسألة هرمس على هذا النحو تحول غضب الشعب نحو مدنس الأسرار · فأرسلت سفينة السلامية لاعادة القيبيادس ؛ ولكنه كان قد اختفى خلسة أثناء الطريق ، وهرب فى البلوبونيز · وقد حكم عليه قضاة أثينا بالموت ، فكان رده السريع أن دفع اللاقيديمونيين الى مساعدة سيراقوسه ؛ مشيرا عليهم بتوجيه هجماتهم نحو البر ليحطموا قوة أثينا · وكانت نصائحه فعالة الى حد جعل الحملة ابتداء من سبتمبر ٤١٣ ق·م تتردى فى نكبة هائلة فكان هذا بالنسبة لأثينا بمثابة الخطوة الأولى نحو الدمار ·

جيشان يخضعان وينفذ فى قائديهما حكم الاعدام · وسبعة ملايين من المساجين يموتون من البؤس داخل المناجم · أما الذين امتد أجلهم فبيعوا عبيدا ، وفقد الجزء الأكبر من الأسطول · رفضت أثينا فى ذهولها أن تصدق ذلك ولكن اليونان بأسرها رأته وسارعت تعجل دمار الدولة التى ظلت حتى ذلك الحين غير قابلة للهزيمة · فشيدت اسبرطة أسطولا

وتحركت الدول المحايدة لتأخذ نصيب الكلب من الغنيمة وثارت الممتلكات الأثينية · أما أثينا فتنبهت وقدرت الأمر من جميع النواحي وسرعان ما رأت أن مجلسا من خمسمائة مندوب كان بمثابة رؤوس عديدة لجسم واحد عليه أن يعد وينفذ على أكمل وجه أخطر القرارات · فعينوا من أجل هذا عشرة مندوبين محضرين تمتعوا فى الواقع بكل سلطة مجلس الخمسمائة · وتوالت بعد ذلك اصلاحات أخرى · ولكن الاسبرطيين احتلوا دقلية التى تبعد عن أثينا عشرات من الكيلومترات وعسكرت قواتهم على مرأى من أثينا نفسها وكانت تسيطر على السهل والجزء الأخصب من أتيكا · وحجز ذهب لاريون ، وتعهدت الفرس بأموالها الأسطول اللاقيديمونى الذى عززته آثينا و عشرون سفينة صقلية · وآن الوقت لمشروعات الاصلاح الجدية ولكنه آن كذلك للدسائس وللضربات العنيفة ·

فهاجم جماعة من الأوليجاركيين المعتدلين يقودهم ترامينيس وهو ابن أحد المندوبين الجدد قد ادعوا أنهم يرجعون الى دستور خرافىلدارقون كان قبل سولون · وكان أنتيفون الرامنوسى وبزندروس وفرينخوس مناصرين لأشد أنواع الأوليجاركية تطرفا · كل هؤلاء قد سارعوا فى نفس الوقت؛ ليحولوا دون رجوعالقيبيادس وليستغلوا الهياجالذى تحدثه دسائسه ووعوده لأن أستاذ السياسة هذا ، أخذ يقوم فى ذلك الحين بمناورات من شأنها أن تسلب اسبرطة المزايا التى أعطاها لها وأخذ يعمل بقوة لكى يحول الى أثينا ذهب تيسافرن · وأعدت جماعات الأوليجاركيين السرية الضربات فى الظلام ، فقتل الفتيان من حراسهم ، الديمقراطيين ، ولم تكن الجمعية لتصدر القرارات الا تحت ضغطهم ، وشمل

الارهاق والاتهام الشعب بأسره • ونفذت المؤامرة بين مايو ويونيه فتقرر انقاص عدد أعضاء المجلس العالى ، وأن تحفظ الحقوق السياسية للخمسة آلاف مواطن القادرين على التسلح على نفقتهم • أما من يكون هؤلاء الخمسة آلاف المميزون فهذا ما لم يذكروه بعد • ولكن اختير أربعمائة مستشار لانتخابهم ولتقسيمهم وليباشروا السلطة مؤقتا • فاجتمع الأربعمائة متأبطين الخناجر ومحاطين بمائة وعشرين من حراسهم الفتيان • وذهبوا لاخلاء المجلس القديم الذى غادر المكان دون أن ينبس بكلمة • يقول المؤرخ ـ وهكذا « بعد أن تحررت أثينا من الطغيان مائة سنة أكملت هذا المشروع الذى بدا عسير التحقيق ، ألا وهو أن تسلب الشعب حريته • هذا الشعب الذى ظل زمنا طويلا غير خاضع لانسان ، فضلا عن أنه اعتاد أن يحكم الآخرين » •

ناهز أفلاطون السادسة عشرة من عمره فى ذلك الحين • ولم يكن يتوقع بطبيعة الحال ، مثل جميع من كانت لهم ظروفه من الشباب ، عملا آخر يوم يصبح حر التصرف سوى أن يلقى بنفسه على الفور فى أحضان السياسة • وان كان هذا المستقبل قد بدا بعيدا فان الشاب قد امتلأ شعورا بأن هنالك مصيره وواجبه ، فلم يتوقف لذلك عن متابعة الحوادث فى اشتياق مشوب بعاطفة • هو شوق يميل الى جانب الوضع الجديد للأشياء ، لأن قريبه أقريتياس ، مما لا شك فيه ، كان أحد أفراد الأربعمائة ، ولم يكن لأقريتياس فى الحكومة النفوذ الذى كان يصبو اليه لأنه كان يمثل حزب القيبيادس الذى نظر اليه الأوليجاركيون المتطرفون نظرة ارتياب ـ ولعله قد فضل هذا النوع من الاختفاء الذى شعر بأنه مؤقت • لأن

القيبيادس لما لم ينل نصيبه من تلك الثـورة التى قامت من أجله والتى استمرت دون أن يشترك فيها ، كان قد تحـول نحو أمانى جديدة ، ونحو دسائس جديدة ٠

ولعله لم يبق أمام الفريق المنتصر من عمل آخر يستحق الانجاز بعد آن ارتوى من انتقاماته المهمة ٠ وبعـد أن أزال الحجب التى تحجب عنه غايته الا آن يعقد السـلام بأى ثمن مع لاقيديمونيا ٠ ولكن هـذا الفريق بدأ يلاحظ منـذ لحظة وجيزة آن الأسطول الأثينى وجيش سـاموس وعـلى رأسهما ترازيبولوس وترازيلوس، أقسما أن يعيدا الحكمالديمقراطى وأن يستمرا فى الحرب حتى النصر ٠ وأن ينظرا الى حكومة الأربعمائة كسلطة معادية ٠ وبمساعدة ترازيبولوس اسـتعاد القيبيادس بسحر وعوده ، ثقة جيش سـاموس الذى انتخبه بدوره قائدا واثقا من أنه سيحصل بفضله على ذهب تيسافرن وأنه سيعود معه الى أثينا منتصرا ٠

وحينئذ كشـف المعتدلون عن دسـائس المتطرفين الذين سعوا سعيا حثيثا فى الاتفاق مع اسـبرطة وحصـنوا أرصفة بيريه تجنبا لغضب أثينا وغضب ساموس معا ، وهكذا أمكنهم أن يلاقوا العدو كما يشاءون فى ألبيرا وفى البحر ، فصاح ترامينوس بأن هناك خيانة واتخـذ الشـعار الذى نادى به القيبيادس وهو : ايقاف حـكم الأربعمائة واعادة حـكومة الخمسة آلاف اعادة فعلية ٠ أما فرنيخوس فقـد اغتيل وفر قاتله ٠ فلما هزم الأثينيون عـلى أبـواب أرتريا وخسروا يوبية التى كانوا يستمدون منها المؤن ، صمموا على اسقاط حكومة الأربعمائة وعلى اعادة السـلطة الى الخمسـة آلاف وطالبوا باعادة المنفيين ٠ فحكم على أنتيفوس والتجأ بيزاندر

والمتطرفون الآخرون الى دقلية واعد أقريتياس الذى كان مختلفا مع ترامينوس بالاتفاق معه ، التصويت الذى نادى بالقيبيادس ودعاه لتولى مهام الأمور ٠

وبفضل اتحاد متزن بين الديمقراطية والأولجاركية ؛ تنفست أثينا الصعداء وبدأت حياة الاستقرار ٠ وفى ذلك يقول قيوسيديد : « لم يحكم الأثينيون حكما أصلح مما كان فى هذه الآونة الأولى » ولا يختلف حكم أرسطو عن ذلك ٠ وحينما قاد القيبيادس الأسطول ، ربح ترامينوس وترازيبولس عام ٤١٠ ق٠م معركة سيزيوقوس وأعادوا غزو ساحل البحر الأسود وأعيد مجلس الخمسمائة ، واستقرت الديمقراطية التامة التى استمدت وحيها من قليفون فرفضت مهادنة اسبرطة وصممت على الاستمرار فى الحرب حتى النهاية ٠ وفى عام ٤٥٨ ق٠م أعيد غزو البوسفور ٠ وفى ربيع عام ٤٠٧ ق٠م ، عاد القيبيادس الى أثينا ، وقلد نفسه شرف حراسة الموكب السنوى لأثينا الذى كان يسير من أثينا الى ابليسيس ٠

هذا الاصلاح فى الدولة الأثينية بدأ يقلق بال دارا فأرسل ابنه الأصغر قيرس الى سارديس ليحل محل تزافرن وعين الاسبرطيون من ناحيتهم أميرا جديدا للبحر هو ليزندريس ٠ وفى أثناء غيبة القيبيادس وبالرغم من دفاعه الشكلى اشتبك قائمقامه أنتيخوس فى معركة مع أسطول ليزندريس فى نيتيوم ٠ ولما خسرها هرب تاركا وراءه خمس عشرة باخرة طعما للماء ٠ وبذلك فقد القيبيادس هيبته وعزله الشعب فاحتمى فى أحد قصوره المحصنة فى خرسوتيزا ٠ وجر سقوطه سقوط أقريتياس كذلك ٠ فتذكر قليوفون مشاركة هذا فى حكومة الأربعمائة واتهمه بابتغائه

للطغيان واتخذ من مرثية سولون القديمة حجة تؤيد القول بأن هذا المطمح وراثي فى عائلة آقريتياس ودروبيدس • فكان ان فر أقريتياس الى تساليه حيث وجد مادة غير منتظرة لحبه في القتال ، فحاول مع من يدعى بروميتيوس أن يثير حركة ديمقراطية بتسليحه العبيد ضد السادة •

وفى تلك السنة (٤٠٧) ق٠م التى رحل فيها اقريتياس الى منفاه ، تعلق آفلاطون بمصاحبة سقراط وكانت سنة عشرين عاما •

٣ ــ محاورات سقراط

لقد عرفه منذ أمد بعيد • ومن من بين الجمهور الشاب الذى كان يتردد على المراضات والملاعب ومن من بين جمهور الأثينيين على اختلاف أعمارهم لم يألف منظر فيلسوف الشارع هذا •• مضت حياته بأكملها فى الخلاء « فكان يذهب مبكرا الى اماكن النزهة والملاعب • وكان يرى فى الأسواق فى الأوقات التى يشتد فيها الازدحام • وفى المساء ما كان يلتئم جمع الا ويحضره باحثا عن علة للمناقشة » •

لقد صحبه اقريتياس وخرميدس منذ زمن بعيد وظلا محافظين على العهد حتى عام ٤١٥ ق٠م على وجه التقريب • وحينذاك جذب اقريتياس فى عنف أثر سياسة القيبيادس، ثم جذب معه خرميدس المتواضع شيئا فشيئا • وكم من مرة سمع أفلاطون الطفل محاورات سقراط يرويانها فيما بينهما • تلك المحاورات التي كانت تفيض بالمكر والطيبة والسخرية اللطيفة ، ولكنها كانت تفيض أيضا بالسمو والنبل ! ها هو

ذا سقراط بين اعجاب مستمعيه الشديد يكشف عن عجز احد السفسطائيين فى البلاغة • وها هو ذا مرة أخرى يسخر من تناقض المواطنين الاثينيين أولئك الشجعان الذين يكثرون التدقيق حتى يختاروا حدادا أو نجارا لأعمالهم الخاصة ، فى حين أنهم يستسلمون للبخت وللقرعة فى اختيار حكامهم ! ان تهكمه قد أصبح لاذعا قاسيا حين يلهب به ظهور اولئك السياسيين الجهلاء المدعين ، الذين يعتقدون أنهم أخيار، لمجرد تمكنهم من الكلام ومعرفتهم لشىء من البيان ، ولأن أطماعهم لا حد لها• تبع التهكم صوته الرصين وتبعت المناقشة العميقة الأسئلة البسيطة واتخذت أحاديث اقريتياس وخرميدس اللذين كانا يفسران فيما بينهما المشاكل التى وضعهاسقراط، صبغة جدية ، سرية • هذه الأسرار نفسها ، وكذلك روح الشجاعة والاخلاص التى لا توجد الا لدى الفرسان والتى جرى ذكرها على ألسنة من شاهدوا سقراط فى ميادين القتال ثم تلك الهالة من الشعر التى تنثر من تلقاء نفسها على كل ما يحرك حرارة قلب غلام صغير ، تضافر كل هذا على أن يخلق فى مخيلة أفلاطون شعورا سابقا وتوقعا لرجل يختلف كثيرا عن الباقين ويفضلهم كثيرا فى نفس الآن •

ومع ذلك فانه لم يسع الى رفيقه الا متأخرا • لقد دار من قبل على السفسطائيين كهاو يلتقط من هذا وذاك فكرة متضاربة ونموذج جملة براقة، أو استدلالا بارعا، أو اشارة، أو موقفا ، أو تصنعا للعظمة وللبراعة ، تلك الأشياء التى اشترك مع رفاقه فى السخرية منها أولا بأول أو التهكم عليها فى قرارة نفسه • فانتقل الى المسارح حين شب وترعرع بعد أن كان يتملى بالنظر الى المشعوذين والى خيال الظل • وفى حوالى الثالثة عشرة حضر تمثيل رواية العصافير لأرستوفان ،

وبعد ذلك بثلاث سنوات فى الوقت الذى اشتدت فيه نكبة صقلية على أثينا ، سمع ليزستراته تنتهز هؤلاء اليونانيين الذين يهدرون دماءهم على مذابحهم والذين يتقاتلون فيخربون مدنهم اليونانية الجميلة بينما كان الأجانب متأهبين بأسلحتهم • وفى هذه السنوات الأخيرة نشر سوفكليس روايته فيلوقتيبوس ونشر أرستوفان يولوتوس الأولى ونشر يوروبيدس أورستا ثم أتباع باخوس حيث أطرى الوجد الصوفى • ولقد حاول أفلاطون نفسه أن يقرض الشعر وتمنى بكل جوارحه لو حذا حذو يوروبيدس • ولكن ملاذا آخر وواجبات آخرى شغلته عن تلك الغاية فكانت أمامه الرياضة التى تحتل مركزا مهما فى حياة كل فتى نبيل ثم شغلته التمرينات العسكرية ومشاركته فى الذود عن حياض الوطن حينما أقسم فى سن الثامنة عشرة يمين الجندية •

وكان يشعر من آن لآخر بحاجته الى الاشتراك فى معامع الفلسفة • فاختارت له أسرته أستاذا هو اقراطليوس الأثينى • وهو تلميذ هرقليطس الذى سار بمذهب حكيم افسوس (هرقليطس) الى أبعد ما يمكن أن يصل اليه • فكان لا يكتفى بأن يردد تلك الكلمة المشهورة : « كل شىء فى سيلان دائم ولا شىء يثبت على حاله ، ولا يمكن أن ينزل انسان فى نفس النهر مرتين » • بل كان يقول : « لا يمكن أن ينزل الانسان الى النهر ولا مرة واحدة ، لا لأن شيئا ما لا يبقى على ما هو عليه فحسب بل مادام كل شىء يتلاشى بمجرد ظهوره ، فان شيئا ما لا يبقى مدة كافية لأن تدركه أو لأن تعرفه عقولنا • ولا يمكننا من هذه الترهات التى تتتابع أن نثبت شيئا أو أن نقول شيئا • ولا يمكننا الا أن نؤمن مشيرين برفع الاصبع!» وقد تركت جولة فلسفته الحية وبراعتها النفاذة أثرا راسخا

فى نفس أفلاطون • ووجد الشاب فيها أقوى صورة من صور هذا الشك العقلى ، الذى تضافر على بثه فيه دروس السفسطائيين ومحادثات اقريتياس ، بل والهواء الذى كان يستنشقه فى ذلك الوقت •

ولكن ما كان للقلب أن يشك فى سن العشرين • فان بقية من الحرارة فيه لكافية بأن تجعله يجيب عن شكوك الروح أو عن نكراتها بتأكيدات من عنده هى تعبير عن رغبته فى الحياة وعن ايمانه فى وجوده وفى قوته • رغب أفلاطون فى الاندماج فى الحياة بكل ما أوتى شبابه من حمية • فلاحظ أن زمن المدرسة قد انقضى ، واستشعر من نفسه نضوجا يهيؤه لتكوين أكثر تعقيدا فجاء يطلب من سقراط ، كما فعل القيبيادس واقريتياس وخرميدس نفسه ، أن يعده للسياسة • وكان نفى اقريتياس الذى حرمه من رائده المعتاد سببا آخر يجعله يبتغى فى سقراط اليوم أمينا على رغباته ، وموجها لدفة طموحه ، وهو طموح كان يحس بأنه عظيم ونبيل متناسب مع أسرته ومع نفسه ومع هذا الأستاذ الذى طالما رغب فيه •

كان سقراط قد بلغ فى تلك الآونة ما يقرب من ثلاثة وستين عاما وكان يعرف عنه ـ كما ذكر ذلك عن نفسه دون خجل ـ أنه كان ابنا للنحات صوفرونكس وللسيدة الحليمة فيناريتا • وكان أثينى الجنس مواطنا قد سجل اسمه فى ثبت احدى الولايات • خدم كجندى محارب فكان مبرزا فى مناسبات عدة ؛ ولكنه لم يتخط حدود أثينا مطلقا لسبب آخر خلاف الحرب • هذا ما كان يميزه بوضوح عن أولئك السفسطائيين الأجانب الذين اشترك واياهم فى حياة

متشابهة الظاهر . وزجه آخر من أوجه طرافته أنه لم يشغل بمال ، وقد كان يحضر لسماعه من يريد فما كان يتناول أجرا على محاوراته بل كان يقول بصراحة ان قبول الأجر نوع من العبودية . وتجارة الحكمة هى تجارة الحب فبالقيام بها تعلق سقراط بالعقول والقلوب . ولما كان قد أخلص بطريقة أدبية كانت تخفى فى الكثير الغالب مخازى كان يتسامح فيها العالم القديم الى حد كبير ، كان له أن يتخذ مظهر من « يتابع الجمال » ولكن هذا التعبير كان تعبيرا مجازيا شائعا وعلى ذلك ظلت شهرته كما ظلت حياته نقيتين على الدوام .

وأى علم وأى تعاليم تلك التى يمكن أن يبيعها ؟ انه يتظاهر بأنه لا يعلم شيئا ولا يعلم (بضم الياء وتشديد مع كسر اللام) شيئا ، ولم تكن له فى الواقع طريقة الأستاذ أو المحاضر . لقد كان رجل سؤال دائما . ففضوله لم يبق على شخص ولم يتراجع أمام أى شىء . كان يستجوب السفسطائى فى صميم ثقافته ، والصانع فى صميم حرفته ، حتى وصل به الاستجواب الى العاهر تيودكته وهى جالسة أمام مرآتها تهيىء سحرها . كان يستوقف الشاب فى الطريق أو يستجوبه فى الملعب وسط رفاقه . وطالما تعلل برغبته فى التثقف فسلط على خطيب بعيد الصيت أو سياسى مشهور استجوابا منظما . هو لا يعرف أكثر من وضع السؤال وتقبل الجواب فيقلبه على كل وجه حتى يظهر فساده . فيسأل سؤالا آخر ويعيد الكرة ويظل كذلك حتى يعترف المبتلى بأسئلته ويسلم معه بأنه لا يعرف شيئا ، أو قد يرغم على اظهار جهله بالأشياء التى كان يعتز بمعرفتها فيلقى بنفسه فى مهاترات لا طائل تحتها أو يذهب عنه مغضبا . والحال أن سقراط كان منهلا شديد الزحام ، فلم يجد شباب الأسر الغنية الذين اتسع وقت فراغهم منظرا

أعذب من منظر أولئك الرجال المبجلين الوانقين بأنفسهم وقد طامنوا من كبريائهم آمام هذا القاضى المتشح بثوب التلميذ • وكانوا فيما بينهم يتنافسون فى تطبيق هذا المنهج الرائع على أكبر عدد ممكن من الضحايا • ولم يعوز هؤلاء الشبان آن يجدوا بدورهم علما باطلا يكشفون عما فيه . ولا مغرورا يثيرون حفيظته •

كثيرون هم هؤلاء الذين لم يروا فى سقراط آفضل من هذا فترددوا عليه باعتباره الجندى المحنك والمتحدث بسديد الرأى فى المسائل القضائية والسياسية ، وهل كان للتفنيد السقراطى فى رأى ثلة الشبان الطموحين المتهافتين على اللعب معنى آخر أنفع من هذا المعنى ؟ شعر أحسنهم حظا فى المواهب أمثال القيبيادس واقريتياس أحيانا بوخز تفنيده فى أعمق أعماقهم • وكشف الغطاء عن عجبهم واتضح فراغ حياتهم فولولوا من الافحام والغضب • ولكن ارادة القوة العمياء اتقدت فى قلوبهم وناداهم أتباعهم وقد نفد صبرهم وسلم العالم لهم نفسه ، فأرخوا جفونهم دون سقراط الحقيقى خوفا من أن يفهموه أكثر مما يجب واتخذوا منه فى آخر الأمر سفسطائيا أكثر جاذبية وأقدر على تكوين النفوس •

ويمكننا أن نتخيل أفلاطون وهو يسعى الى سقراط تصاحبه ثقة مشوبة باعجابه الطويل الساذج • ومع ذلك فقد اضطرب منذ أول محادثة لما كان فيها من قلة تلطف • ويحتمل أنه قد عرف أن سقراط لم يعالج فروضا أو نظريات تتصل بالطبيعة والسماء والآثار العلوية ، وأنه اهتم فقط بالانسان وبسلوك الانسان فى المدينة التى يحيا فيها • ولعله قد وعى

من روايات أعمامه وكذلك من النقد المر الذى أتاه من كل مكان ، أن سقراط لم يقصد ربط هـذا السلوك بالتقاليـد العائلية أو بالأمور المعمول بها أو بآراء وأصوات الأغلبية • فخال اذن أستاذه العجوز ، وهو بعيد عن أن يوجد أية عقبة فى سبيل تحقيق أحلامه فى المشاركة السياسية ، أقول خال أستاذه سيلج معه السياسة بنفسه ويبدأ منذ اللحظةالأولى بأن يمهد له الطريق الى دراسة الرجال والى تعـدد الطبـائع وخير الوسائل فى تتبعها أو فى مخالفتها ، وأن يرشده أخيرا الى كيفية ادارة الحديث ان فى الهجوم أو فى الدفاع •

ولم تكن ثمة غاية أخرى فى نظر الذين كانوا يعـدون له مستقبله وفى نظـره هـو ، من التعاليم التى لقنهـا ومن التعاليم التى تركت له حرية اختيارها سـوى شـحذ ذهنه وطلاوة لفظه فى هذا الضرب من السياسة العملية • قد يكون نقد اقراطليوس العنيف الذى يشتت النفس قد حد بصـورة ضعيفة ومتواضعة من مرونة ارادته • ولكن فيما عدا هـذا نرى أن جميع أساتذته ورائديه لم ينكروا فى حضرته العلم أو الحقيقة الا ليوقفوه على القيمة الفريدة للفعل الذى خلق جماله بنفسه وخلق حقه بنفسه • وها هى ذى تتـدفق من وراء أسئلة سقراط المحرجة الواحدة تلو الأخرى أحـوال غير منتظرة وحدود وقواعد وقيم تحكم الفعل نفسـه وتهبه ما له من قيمة وقد بدا هذا المعيار الأسمى العام بسيطا معقولا وهو فى نفس الوقت موضوع لعلم سام ليس بمستعظم على الحياة بأجمعها أن تبحث عنه وأن تحصل عليه • أخذ شباب أفلاطون الفيـاض وتقاليده العائليـة وتمثله فى الأسرة وتكوينه الخارجى أخذ هـذا جميعا ينـاديه : « العمـل ، العمل » ، ولكن سقراط وسقراط السـاخر الذى لا يعرف

شـيئا والذى أرغم الآخرين عـلى الاعتراف بجهلهم والذى تظاهر بأن ليس لديه ما يلقنه اياهم لم يلقن أفلاطون غـير قاعدة لم تتغير على الدوام « المعرفة أولا » ٠

طلب أفلاطون من سقراط أن يمهد له طريق الصراع اللفظي وأن يعلمه كيف يسيطر عـلى الرغبات المتنـوعة ٠ وسأله فصل الخطاب فى فن اقناع البشر وقيادتهم ٠ ولـكن فيم أراد اقناعهم ؟ ألكى ينادوا به واليا فيعلن الحرب متى شاء فينال المجد ؟ ولكن فيم ينفع النصر ان جهـل الانسـان الانتفاع به أو لم يكن خبيرا بكيفية اسـتغلاله فى مصلحته الشخصية ؟ سعى اذن الى السلطة السياسية وعمـل عـلى أن يطمئن الى تحرره قدر المستطاع من الملابسات والقيـود ٠ ولكن فيم تنفع القدرة المطلقة وفيم ينفع الطغيان نفسه ؟ ٠ أفى اعداد الحياة والمنافع للمواطنين وفى سـوق المدنيـة جورا الى الطريق الذى يقع الاختيار عليه ؟ ولأية فائدة ان لم يعـرف الانسان نفسـه ، الام يؤدى هـذا الطـريق فى النهاية ؟ ٠

أيرضى أفلاطون أن يفضى به الطريق الى ارضاء رغبته فى القوة والى أن يهبه لذة الشعور بأنه يفعل ويدفع الى فعل ما يلذ له فحسب ؟ ولكن هل ما يستطيبه ، سيكون هـو عـلى الدوام ما يريد ؟ أليس ما يريده هـو العمـل لمنفعته أعنى لخيره الخاص ؟ أيرجو من هذا الطريق تنظيم المواطنين فى انسجام ووحدة ؟ وأى نفع سيعود عليهم من هـذا الانسجام ومن تلك الوحدة ؟ أليجمعوا رأيهم عـلى قيادة الحـرب أو السلام ؟ وماذا يحدث لو لم يقع هذا فى الوقت المناسب وكما يجب ، أعنى ان لم يتشاوروا فى ترو ؟ أليست الحـكمة هى المنفعة ؟ وهل يرتجى نفع مما لم يؤيد بالقسطاس ؟ أليس

من المتواضع عليه ان المنفعة والعدل والخير شيء واحد بالذات ؟ وهل وقع عليه أفلاطون بعد ؟ أيعرف في كل الأحوال ما خيره الخاص وما خير المدينة وما خير كل انسان وخير كل مدينة ؟ فاذا لم يكن له هذا العلم بعد ٠٠ أيعرف ماذا يجب أن يفعل ليحصل عليه ، ألا يعتقد أن ليس ثمة شيء أعسر من البحث عنه ومن لحصول عليه ؟ ٠٠

٤ ـ ثورات آثينا

ومحاكمة سقراط

تلك كانت الأفكار التي ألقتها في نفس أفلاطون يوما بعد يوم محادثات سقراط واستفهاماته ٠ ولكن أفلاطون الذي أخذته الدهشة في أول الأمر أخذ يتبع الآن في شغف طرائق التفنيد السقراطي الحرة المأمونة غالبا التي كان ضحاياها من جهلوا أو لم يرضوا الاستفادة منها ٠ وقد اكتشف في نفس الوقت وراء بساطة سقراط الظاهرة علوا في الروح ونبلا في الارادة طالما تاقت اليهما أحلام طفولته ٠ ولم تكن السذاجة والابتسام والتهكم المستمر نحو نفسه ونحو الآخرين ، عند هذا العجوز غير زهرة نفس نأت بذاتها عن نفسها وعن كل ما لا يتصل بالحقيقة التي تنشدها ٠ كان وافر الاستقلال اذ عزف عن المال والجاه ولم يفرض فكره على أحد مطلقا بل ولم يفعل ذلك بالنسبة لأشد طلبته قربا منه ، فخلصت من كل كيانه شخصية قوية لما بدا فيه من بديهة مستعدة للتبصر على الدوام وارادة غير قابلة للانحراف ٠ كانت لأفلاطون عواطف أخرى قام عليها قلب بلغ من اخلاصه أن بدا له الناس والقدر على درجة عظيمة

من الجور • ولكن السنوات التوالى قادته دون شك الى ان يحكم من اعماقه ، فى قسوة ، على اوهامه التى كان يعتز بها ، وأن يقارنها ان فى الحياة وان فى الموت بتلك العظمة الواضحة الصافية التي جبل عليها أستاذه الحقيقي وأستاذه الآخير •

غرم الأثينيون ثلاثين باخرة تجاه ميتلينا وظلت الأربعون الباقية محاصرة فى الميناء ، وفى هذه المرة أيضا شحذوا عزيمتهم وجمعوا فى شهر واحد أسطولا مكونا من مائة وأربعين قطعة واشتبكوا فى معركة مع أسطول اسبرطة عند أرجنوس جنوبى لشبوس وأغرقت فى هذه المعركة سبعون سفينة من سفن العدو وقتل قائد الأسطول • فكان نصرا جميلا ولكنه انقلب غما وكآبة من جراء نكبة ربما لم يكن من الممكن تجنبها ، اذ أفسدت النصر جريمة خرقاء تردت من أثرها خمس وعشرون سفينة أثينية فى اليم ، فقد حاول القواد الأثينيون أن يستفيدوا من ريح شمالية شديدة فى الهجوم على العدو فتركوا حيث كانوا ترامينوس وترازيبولوس وكان معهم سبع وأربعون سفينة لجمع الغرقى ؛ ولكن العاصفة اشتدت وتعذرت معها أية محاولة للخلاص • واتهمت أثينا جميع القواد عدا كانون ، ولعل الخوف من العقاب أو الرغبة فى الافادة من غضب الهيئات هو الذى حدا بترامينوس الى أن يتهم القواد آمام المجلس • وسار كاليكسنوس على منواله فقرر مع المجلس محاكمة المتهمين كتلة واحدة دون أن يسمحوا لهم بيوم واحد للدفاع عن آنفسهم • واحتج فى أول الأمر الشيوخ الذين قاموا بدور المستشارين ولكنهم تراجعوا أمام عاصفة التهديد التى أقامها كاليكسنوس متوعدا اشراكهم فى الاتهام • وكان سقراط هو الوحيد

الذى جسر على القول « بأنه لن يتخلى عن القانون » ولكن القواد الثمانية قدموا للمحاكمة وقتل ستة على الأقل · وكان أن ندمت أثينا على فعلتها ولكن بعد فوات الأوان ثم رغبت فى معاقبة من قاموا باتهام القواد ، فقضى على كاليكسنوس بالموت جوعا تصحبه اللعنة من جميع الجهات ·

غنمت معركة أرجيوس ممن حل محل ليزاندريس واستدعت اسبرطة هذا لقيادة أسطوله قيادة فعلية بعد أن أعيد تنظيمه · ولم يكد صيف عام ٤٠٥ ق·م ينقضى ، حتى كانت فى حوزته مائة وستون سفينة أثينية وكان مجموعها مائة وثمانين ؛ مما أثار دهشة ايجسبتاموس الشديدة ، وقضى على جميع الأسرى بالموت وكانوا حوالى ثلاثة أو أربعة آلاف أسير · وأتت سفينة بارالين بخبر النكبة وخبر بيريه مع الليل فسرت الدهشة والأنين حتى بلغا آثينا « فلم يغمض لمخلوق جفن فى تلك الليلة ، وأخذ الأثينيون يندبون موتاهم بل قل يندبون أنفسهم ان شئت الدقة » ثم تخلت عنهم اليونان بأسرها خلا ساموس · وطفق ليزاندريس فى الاقتراب تصحبه مائتان من السفن كما عسكر الملك يوزانياس فى ملعب الأكاديمية · وهكذا حوصر الأثينيون برا وبحرا ، فاضطروا الى طلب الهدنة تحت الحاح الجوع · فلم يكن فى مقدورهم أن يحطموا الجدران · أمهل ترامينوس الموفد الى ليزاندريس هذا الأخير أكثر من ثلاثة أشهر لينتظر ، كما يقول اكسينوفون ، اللحظة التى يكون فيها الأثينيون مهيئين للاذعان التام تحت الحاح الحاجة القصوى ، سيما وأن قليوفون رجل المقاومة قد اغتيل · وطلب منهم بعد قبول هدم تحصينات ميناء بيريه والجدران الشاهقة التى كانت تحيط بها ، تسليم جميع القطع الحربية

عدا اثنتى عشرة منها . « ودخل ليزاندريس بيريه تاركا السفن خارج أسوارها وأعيد المنفيون وهدمت الجدر بين أنغام الناى وساد السرور ؛ لأن ذلك اليوم كان ايذانا ببدء الحرية لليونان بأسرها » كما كان يؤذن باسترقاق أثينا التى أقسمت « ألا يكون لها أصدقاء ولا أعداء غير الاسبرطيين » وأشرقت عليها شمس اليوم التالى يرافقها الطغيان الداخلى .

« تواضع الشعب على انتخاب ثلاثين مواطنا لتشريع نظم جديدة » حدث هذا تحت اشراف ليزاندريس وهو ما كان ينتظره ليفصل عن بيريه . وكان تيرامينوس طبعا من بين هؤلاء الثلاثين ، أما أقريتياس فقد عاد مع المنفيين الآخرين . وفى فترة انتظار صدور التشريع الجديد انتخب هؤلاء الثلاثين من تلقاء أنفسهم أعضاء المجلس الخمسمائة كما انتخبوا الولاة الآخرين ، واختاروا أحد عشر فردا ليزج بهم فى السجن كما عينوا عشرة مديرين واتخذوا لأنفسهم حرسا من ثلاثمائة نفر يحملون السياط وهكذا تألفت حكومة قوية . كان أفلاطون يتمنى دون شك هذا التعويض لأقريتياس ولم يكن يخلو من زهو لوجود خاله بين مديرى بيريه . وأغلب الظن أن دوره قد جاء اذ دعاه خاله ونفر من ذوى السلطان من أصدقائه لأن يأخذ مكانه فى تلك الحكومة التى تستجيب لأفكاره . ولكن أفلاطون لم يكن ليتابع أحاديث سقراط أو ليتقبل أسئلته أو ليفتح عينيه على الحياة عبثا . لقد ذكر ذلك بنفسه فى خطابه الى أصدقاء ديونيس . كان يقدر جيدا أن السلطة الجديدة ستعيد المدينة الى « طرق العدالة » ولكن مطالب نفسه كانت قد سمت الى حد تولد معه شك خفى يمازج آماله ، فرغب فى الانتظار والترقب .

بدأ الثلاثون بأن أمنوا الجميع وأرضوهم بقضائهم على الوشاة الخطرين ثم كفوا أنفسهم شر التحولات التى يمكن أن تقع بأن طلبوا الحماية من ليزاندريس وحينذاك أفصحوا عن رغبتهم فى « تطهير المدينة » ولم يسمح تراسينوس بأكثر من التطهير ولم يعاقب الا الديمقراطيين المبرزين • أما اقريتياس ، فقد عاد من منفاه طاويا حنايا صدره على ضغن • فكان يعتبر كل من طالب بل كل من تمنى الدستور المنشود عدوا له • وأخيرا ، فان الحماية الاسبرطية تتطلب ثمنا • لذلك حارب أقريتياس من وقع عليهم الاختيار من الأغنياء • واحتج ترامينوس على هذا السلوك وحاك له الدسائس ثم طلب منه أن يعلن أسماء من تكون لهم حقوق المواطنين فحدد أقريتياس عدد هؤلاء بثلاثة آلاف ـ ولكنه امتنع عن نشر الأسماء • وطفق ترامينوس يحتج ويلح فى الاحتجاج ولكن أقريتياس وفق الى اصدار قانون يجعل للثلاثين سلطة اعدام كل من لا يوجد اسمه بين ثبت الثلاثة آلاف دون محاكمة واستصدر بعد ذلك قانونا آخر يجرد كل من سعى ضد حكومة الأربعمائة من حقوقه السياسية • فأمكنه بذلك أن يتهم ترامينوس هذا الحذاء البالى ، على حد تعبيره ، الذى ارتدى جميع الأحزاب وخانها • وأخيرا تجرع ترامينوس كأس السم « فى صحة أقريتياس الحاذق » •

نشر أقريتياس بعد ذلك ثبتا بأسماء الثلاثة آلاف وجرد باقى السكان اثر ذلك من الأسلحة ، واستمرت حوادث القتل ونزع الملكيات • وكان عدد من قتلوا فى عدة شهور ينوف على الخمسمائة ونفى عدد آخر لا حصر له ، فكان ذلك بمثابة حماقة خرقاء • تجمع المنفيون فى كورنثوس وميجاريا وطيبة ، والتأموا تحت امرة ترازيبولوس فاحتلوا فيليه ثم

بيريه · وطالت الحرب بين الفريقين وزادت تعقيدا ، وكان طبيعيا أن تتلاعب اسبرطة بالفريقين واستخدمت ليزاندريس وبوزنياس لتحقيق أغراضها · وكان مصير كل من اقريتياس وخرميدس القتل في معركة مونيخيه في مايو عام ٤٠٣ ق·م ولكن السلام لم يعقد الا في سبتمبر من نفس السنة حينما تدخل بوزنياس في الأمر · فأعيدت الديمقراطية وساد الجميع عفو شامل الا من اشترك في حكومة الثلاثين ·

لم يعد لأفلاطون صديق غير سقراط ، وقد حدث في الفترة التي شن فيها الثلاثون الحرب على أغنياء الأنغال أن أمروا سقراط ، رغبة في تعريض أكبر عدد ممكن من الرجال للخطر ، بالذهاب مع أربعة آخرين للقبض على ليون من سلامينا بغية اعدامه ــ ولكن سقراط لم يذعن للأمر ولم ينجه من انتقام الثلاثين الا زوال دولتهم بعد ذلك بقليل · وقد استمر خلال هذا الحكم وفي ظل الأحكام الأخرى كلها محتفظا بصراحته وظل على تلك الحال حتى بعد أن منعه أقريتياس من تعليم البيان ، وكان يرمي من وراء ذلك الى اسكاته · هذا ولم تكن لدى أفلاطون أسباب يزور (بتشديد مع فتح الواو) من أجلها من الحكومة الجديدة ، تلك الحكومة التي شملت الأدب بعفوها والتي راعت الاعتدال في باقي المسائل · ومهما يكن من أمر انصرافه قليلا قليلا عن المشاركة في الحكومة مشاركة فعلية ، فان اهتمامه كان لم يزل شديدا وكان قد أعد نفسه لمتابعة العمل في السلام المشروع حينما حدث ، ولم يكن في الحسبان ، أن اتهم سقراط بالالحاد أمام محكمة هلياست ·

قام باتهام سقراط غني نشط من بين أفراد حزب ترامينوس يدعى أنيتوس الذى نفى عام ٤٠٤ ق·م، والذى

اشترك مع ترامينوس فى اعادة الديمقراطية وعاون هـذا
فى الاتهام مليتوس وليقونوس . « وتذهب شكواهم الى القول
بأن سقراط متهم بعدم الايمان بالآلهة التى تقدسـها المدينة
وبقوله بآلهة جديدة زيادة على أنه يفسد الشباب » . والواقع
أن نقد سقراط الذى لا يتطرق اليه وهن وتهكمه المستمر قد
أوجد له أعـداء فى كل مكان ، فأولوا « الاشـارة الالهيـة »
و « الوحى » الذى قال عنه سقراط انه يرشـده فى جميع
الأمور التى يتطرق اليه الشك فيها ، تأويلات مغرضة . أما
من أرهقتهم الأوليجاركية ، فقد اتهموه بأنه كان أستاذ الكثير
من الأرستقراطيين ومن بينهم القيبيادس وأقريتياس ، وأنه
قد دأب على السخرية من انتخابات القرعة وسـيادة عـدم
الكفاءة . ولعل الرغبة لم تكن لتصل الى حد طلب القضـاء
عليه ولكن مظهره كان يذكر بماض لعين . وكان من الممكن
أن يستعين بالهرب ، على التخلص من هذا الاتهام ولكنه أبى
ذلك وهكذا وقف فى سن السبعين لأول مرة أمام القضاة .

ولم يهتم سقراط بالدفاع عن نفسه شاعرا بسمو حقـه
ونبل منحاه، وبدلا من أن يناقش ويستسمح رغب فى مناقشة
الأدلة وتفنيدها كما كان يفعل أمام تلاميذه . وأعلنت ادانته
بأغلبية ضعيفة وطلب منه أن يحدد لنفسه عقوبة فطلب أن
تكفل له الدولة معاشا فى مجلس الشيوخ. ثم قبل بعد ذلك أن
يؤدى غرامة قدرها ثلاثون جنيها بضمانة أفلاطون ونفر من
أصدقائه الآخرين . ولقـد سببت كبرياؤه المتزايدة غضب
قضاته ؛ فحكم عليه بالاعدام بأغلبية كانت فى هذه المرة أقوى
بكثير من الأولى وزج به فى السجن حيث مكث شـهرا حتى
تسمح نهاية أعياس دولوس بتوقيع العقوبة ، وكان الهرب
ميسرا للمتهم أثناء هذا الشهر حين كان يستقبل أصـدقاءه

يوميا ، أضف الى هذا أن العادات لم تكن تستنكر ذلك ؛ ولكنه رفض التخلص « كعبد مذنب » من الحكم الموقع عليه ٠ وفى اليوم المحدد من شهر يونيو أو يوليو عام ٣٩٩ ق٠م تجرع السم في هدوء ٠ ولم يشهد أفلاطون وفاته لمرض أقعده ٠

تمجيد سـقراط

١ ـ سنين الترجل والتأمل

نهض أفلاطون تغمره الدهشة والألم والتقزز ـ لقد تبددت أوهامه ، واختفت أعز صداقاته وبقى وحيدا أمام حطام من كان مثله الأعلى ـ فكان من المتعذر أن يفكر فى هذه الصدمة الأخيرة التى أتت على البقية الباقية من نفسه ٠

وكلما ارتاع قلبه ، زادت قسوته فى الحكم على أقريتياس يوما بعد يوم ازاء طغيان الثلاثين ٠ ولما لم يعد يتمثل وثن صباه الا خلال حجاب من الفزع فقد قذف بنفسه بكل ما أوتى من قوة نحو سقراط الذى دلت حياته وكلماته ، على أن هناك بقية من منطق ، وبقية من عدل ٠ ومما زاد فى جرح نفسه أن يرى أقريتياس وخرميدس يلقيان حتفهما فى التطاحن الحزبى ، وأن المدينة التى لم تعد اليهـا الحياة الا بعد موتهما قد نظرت اليهما نظرتها الى المجرمين ، ولكنه اطمأن حينما رأى المنتصرين يحاولون النسيان ، ويسعون الى التضامن ، وآمن بنهضة أثينا وبمستقبلها ٠ وقد خدعت الأوليجاركية تماما حينما ظنت أنه سينضم فى غير حرج الى الديمقراطية التى أعيدت الى الحكم ، وكانت متأهبة تماما لأن تثق به ٠

هاك ما وصلت اليه حكومة « ضحايا اقريتياس » : لقد قتلت في وحشية وجنون الرجل الذى حاول اقريتياس عبثا أن يلزمه الصمت ، والذى رفض ، فى ساعة حرجة ، أن يعادى أصدقاءهم ويصبح من صنائع الطغيان ! لقد اتهموا سقراط بالالحاد ، سقراط أعدل العادلين • وقد ذهبت توسلات أفلاطون أدراج الرياح : اذ رفض فارس الميدان الكهل أن يتنصل من الاتهام الماكر الخطر كما رفض أن يتنحى أو أن يستغل مهارته أمام قضاته ، ورفض كذلك أن يهرب في وقت كان من السهل فيه أن تشترى حريته بقليل من المال • والله يعلم أن أفلاطون كان على أتم استعداد لأن يهب ثروته جميعا ثمنا لها • وفى تلك اللحظة أقعد أفلاطون المرض ، ثم وقع الظلم • فقتلت أثينا كما سفهت الرجل الوحيد الذى كان في مقدوره أن ينقذها ان كان لها أن تنقذ • وحطمت الصداقة المقدسة التى احتمى فيها أفلاطون كما يحتمي فى وكر للعدالة والايمان ، ماذا يفعل هنا اذن ؟ •• انه مرتاع من أثينا ، ومن سياستها القائمة على العاطفة ومن أحزابها وثوراتها ، ومن جنونها العاتى واعتدالها الماكر •• انه يرغب في الفرار •

لقد ذكروا له ما كان يعرفه مقدما من أن سقراط كان فى مماته بسيطا نبيلا كما كان فى حياته • ولنا أن نعتقد أن اقريتون الصديق الصدوق ورفيق صبا سقراط روى لأفلاطون بنفسه ما لم يقو هذا على رؤيته : من اجتماعات الأيام الأخيرة الى الأيام الخالدة التى مضت كفيرها فى المحاورات الفلسفية والليل المخيم وخادم الأحد عشر؛ اذ يعلن وهو يبكى أن الساعة قد دنت ، والكأس التى تناولتها يد ثابتة ، وسقراط اذ ينصح أصدقاءه بالهدوء والوقار بينما

يفعل السم مفعوله ، واذا بصوت اقريتون يتهدج رغما عنه ، أثناء ذكر طريقته في جمع آخر أحاديث سقراط ، فيغلق فمه ويغمض عينيه ٠

شهد اللحظات الأخيرة من حياة سقراط مع اقريتون وولده اقريتوبيل ، طلبة أثينيون متعددون يذكر منهم اشن من مقاطعة سفطس وانتستن ومنكسين ٠ ومن الطيبيين سميانس وقابس، ومن الميجاريين اقليدس وتربسيون، وكان انتستن ونفر آخرون على وشك مغادرة آثينا للذهاب الى ميجاريا فى ذلك الحين ٠ وكانت تهمة الالحاد قد حركت ، كما قال اقريتون ، فى الشعب المهتاج الشكوك القديمة فى الفلاسفة « محتقرى الآلهة » ٠ وكان طلبة سقراط معرضين دائما لاهانات الشعب ٠ هذا من ناحية ، وكان يؤلم اقريتون من ناحية أخرى أن يرى أفلاطون قريب اقريتياس وخرميدس، معرضا لمضايقات بل ولحقد القوم الذين طالما آذاهم الثلاثون ٠ ولكن أفلاطون لم يفكر بتاتا فى هذا الخطر بل كل ماهنالك أن ليس ثمة من عمل يقوم به هنا ٠ لقد ذكر له اقريتون العجوز كل ما يمكن أن يذكره ، ولكنه شعر بحاجة الى مزيد من قصص عن سقراط ، لا عن سقراط فى مماته بالغا ما بلغ من سمو ، بل عن سقراط الحى كما عرفه ورافقه ، وعن سقراط كما تصوره وتخيله قبل أن يصبح تلميذا له ٠ وقد اختير اجابة لهذه الرغبة الملحة اقليدس الذى طالما تردد عليه أفلاطون وسرعان ما شعر نحوه بود لم يشعر به نحو الآخرين ، فكان الأفضل اذن بالنسبة لأفلاطون أن يرحل الى ميجاريا ٠

ما المدة التى قضاها هناك ؟ هذا ما لا نعرفه ، اذ ان رحلة ميجاريا ورحلة مصر وزيارة سيرينيا يشهد بصحتها

تراث أهل للثقة · ولكن هذا الحكم لا يمكننا أن نطلقه على التفاصيل الروائية التي تضاف الى هذا التراث · أما الشيء الذي نعلمه حق العلم فهو أن عملا خصبا كان قد اكتمل في فكر أفلاطون أثناء السنين الأولى التي تلت موت سقراط · كان عليه أن يقوم بعمل تقويم لحياته وللحياة السياسية الأثينية ، وأن يهجر آماله في المشاركة السياسية ، وأن يتحول الى دعوة من نوع آخر ، وأن يدرك الفكرة العامة والخطوط الرئيسية في هذه السلسلة من المحاورات التي ستوقف على احياء ذكرى سقراط · ونخشى أن نكون قصصيين اذا أردنا تخيل التواريخ الصحيحة والمراحل المختلفة والحوادث الخارجية لهذه الرحلات · ولكننا لا نفرض الا فرضا قريبا من الواقع وهو في أغلب الظن ضروري اذا ما تخيلنا أن ميجاريا ومصر وسيرينيا ، كانت تمثل بالنسبة لأفلاطون مراحل في التفكير تنشأ مع التنقل · فقد تبع تطور تفكيره منحنى رحلاته ولم يبعده هذا التفكير عن أثينا أولا وقبل كل شيء الا ليعيده اليها بفكرة أكثر وضوحا عن المهمة التي تنتظره هناك ·

وفي ميجاريا ، كان لاقليدس ومضيفيه الفراغ الكافي ليتذكروا فيما بينهم حياة أستاذهم · كانت تلك الحياة قليلة الحوادث ولكن أقل الحوادث شأنا ، صار له معنى آخر في ضوء الوفاة والاتهام · هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد كانت حياة سقراط بأكملها مبثوثة في محاوراته اليومية ، وكل كان يحمل ذكرياته · أما أفلاطون ، آخر من حضر من الطلبة فقد أصغى وحصل · وليس من شك في أنه قد نشأت من وقت لآخر مناقشات هادئة تناولت تواريخ المحادثات وتسلسلها ؛ فضلا عن التفاصيل الدقيقة في شرح المحادثات

وتقديرها · وجد أفلاطون في ذلك ، وهو على أهبة المجادلات والمعارضات ، الفروق في الطبع وفي التعليم وفي الثقافة · هذه الفروق التي لم يلاحظها الا قليلا في صلاته العابرة بالطلبة الآخرين ، ومع أنه كان راغبا في ألا يلقى اليها بالا فقد ضجر منها كما يضجر من فوضى تحاول أن تنال عمله الذهنى بالتشويش ، اذ شعر بأن هذه الفوضى قد بدأت تعمل في خبث في الأحيان التي كان يريد أن يوجه فيها انتباهه الى الروايات والى الشروح ·

ثم أدرك ذات يوم أنه في حاجة الى الوحدة · أما أحاديث مضيفه عن الحياة التي سلكها قبل مقابلة سقراط وعن تجاربه العقلية المختلفة فأعجب بها من قبل اعجابا شديدا · فقد شغل اقليدس بالفلسفة على الدوام · وتأثر مذهب بارمينيدس بوجه خاص ولم يمنعه تقديسه الشديد لسقراط أن يظل مخلصا للكائن اللامتغير الذى تغنى به حكيم ايطاليا القديم · ولكن نفس أفلاطون كانت ممتلئة في تلك اللحظة بأفكار أخرى ·

ولم تكن الرحلة الى مصر لتحول بينه وبين هذه الأفكار · وكانت رحلة سهلة نسبيا ، وكانت تكاليف السفر من بيريه الى هناك ضئيلة جدا ، تبلغ درخمين · جذبت مصر اليونانيين منذ زمن بعيد فرحلوا اليها جريا وراء التجارة الرابحة ورغبة منهم في اكتناه سر المجهول · ونحن نعلم أن سولون العظيم صديق دروبيد الكبير قد أقام في سايس بالدلتا حيث تحدث اليه الكهنة في شيء من الافتخار عن قدم تراثهم · ويذكر أفلاطون ، في شيخوخته ، زيادة على ذلك ، وكان مؤمنا بما حدث : « اننا نجد لديهم أعمال نقش ونحت ترجع الى عشرة

آلاف سنة » وكان يعتقد أن المشرع اليوناني يمكنه : اذا حذا حذوهم أن ينظم ملاهي أى شعب وموسيقاه كذلك بحيث يمكنه ابعاد كل بدعة مفسدة · ولكن كل ذلك الذى رآه في مصر مما جبل عليه سكانها من عدم اكرام الضيف ، ومن صلفهم في الربح ، ومن تسلط طائفة الكهنة ، ومن الأساطير التى ترامت الى أسماعه والتى تذوقتها روح الفنان فيه أكثر مما تذوقتها روح المفكر ، كل ذلك كان قد عرفه قبل أن يغادر أثينا · وقد جذب العالم الجديد ، من شعب مزركش وآثار ومعابد وكهنة ، انتباهه الخارجى ، ولعله لم يكن ليترك فى تأملاته العميقة الا بقدر ما تتركه المتعة من أثر ·

وفى عودته عرج على سرينيا ، حيث رغب فى مقابلة أحد أصدقاء سقراط الأقدمين وهو تيودورس الهندسى ، وكان قد عاد من أثينا عقب الاتهام المحزن بعد أن أقام مدة طويلة تتبع خلالها أفلاطون دروسه من وقت لآخر · وقد لذ لأفلاطون أن ينصت الى الحديث عن سقراط من ذلك العجوز الجذاب قبل أن يشرع فى العمل الذى آخذ يشعر الآن أنه مرتسم أمامه · وكان يربط بين هذا العجوز وبين سقراط قلب مخلص ورأى مشترك ينضح بالحقيقة وحب للشباب متبادل · وكان الرجل صديقا لبروتاجوراس ، ومع هذا لم يكلف بالبيان أو بالجدل · وكان رياضيا بالوراثة فأحدث تقدما كبيرا فى نظرية اللامعقولات وآكسب طلبته حماسة وحرارة فى سبيل البحث والاستقصاء ·

ولما مل أفلاطون الاغتراب ومل المعابد والأسرار والتنبؤات أقبل فى شوق ، لبضعة آسابيع ، على هذه المحاضرات فى العلم الدقيق ، وكانت الحجج « التى تشبه

الماس صلابة » تتعاقب مع ثقة الأستاذ القديم فى أعماله وفى تلاميذه أو مع ذكرياته الساذجة الباسمة فيما يتعلق بالذى شعرا فيما بينهما بحضوره الممتع · وأخيرا عاد أفلاطون أثناء سنة ٣٩٦ ق·م على وجه التقريب الى أثينا تلك ، حين أيقن بأن ثمة عملا عليه أن يقوم به ·

٢ ـ حقيقة سقراط

هز أفلاطون موت سقراط هزة عنيفة ، ولكنه لم ينر أمامه السبيل الا رويدا · فقد بدا له هذا الحادث كحلقات غير متصلة من ومضات قوية تلتمع فى وعيه من بعيد وبدت كما لو كانت ناشئة من أعماقه المجهولة · ولم يدر أية عاصفة تلك التى كانت تستفزه حينما كان ينصت فى هدوء وانتباه لروايات الطلبة · لقد رحل جائبا البلاد المجهولة لينفرد بالبلبلة التى أصابت أفكاره ، ثم أسلس قلبه له القياد كما أسلست له نفسه القياد رويدا رويدا عندما هدأت البلبلة التى فى نفسه وتمخضت عن نور ساطع أضاء الظلمة التى شملت حياته والظلمة التى سادت العصر الذى يحيا فيه ، وكشف له كذلك عن سبيل وأمل محقق · بدا هذا الضوء الصارم المنان كما لو كان اشعاعا ينبعث من حياة سقراط ومن موته ·

لم يقتصر جهل حقيقة سقراط وبغضه واتهامه واعدامه على انيتوس والديمقراطية الأثينية فحسب ، بل تعداهما الى تجبر أثينا الأعمى بأسرها وتجبر رجال دولتها الأمجاد ، ومن على شاكلة القيبيادس واقريتياس ، فى كلفهم المفرط بالسلطة والمتعة ، وكذلك أشبال الأرستقراطية ، والى السفسطائيين وعجرفتهم وهوايتهم التى تشترى بالمال ،

والشعب بأسره مع قواده الفاسدين ومضلليه وخطبائه وشعرائه وقصصييه · لقد اتهموه جميعا لأنهم شعروا أن حديثه وحياته انما تضعهم موضع الاتهام : «فاذا كان سقراط رزينا في حديثه صادقا فيما يقول فمعنى هذا أن الحياة الانسانية بأجمعها هي التي كانت مقلوبة رأسا على عقب وأننا نفعل عكس ما يجب أن تؤديه ، ولكنهم أبوا أن يروا حياتهم معكوسة » ، لقد ترددوا في الجهل المطبق واستمروا مع ذلك في اعتقادهم أنهم أكثر الناس معرفة · وطالما صدر عنهم هذا القول في سخرية « هذا الثرثار الشرير المعتوه » الذي يبحث بين السحب عن المعرفة والخير والعدالة الكاذبة والذي يزدري جميع الحقائق التي يحياها عالم الشهادة ·

كان سقراط على حق رغم هذا ، فان مجد أثينا كان يخفي وراءه شرا مستطيرا · وقد انفرج هذا الآن عن فساد وعن نكبة ؛ لأن الجميع رغبوا عن معرفته وعن علاجه ــ ما فائدة السفن الحربية والتحصينات والترسانات والأسلحة برمتها ؟ وما فائدة غزوات السيطرة وبسط السلطان وما فائدة كل هذا الكسب المادي الذي هو ثمرة ما يسمونه : « السياسة العليا » اذا كان الشعب قد ترك الى جانب هذا كله يتردى فيما هو فيه من جهل ومن ظلم ؟ ·· أليست السياسة الحقة هي الكشف عن هذا الشر المستطير واستئصاله قبل أن يخرج ثماره ؟ ·· كان سقراط وحده هو الذي وقف على هذا الشر فكان بذلك رجل الدولة الوحيد · أما الآخرون أمثال تيمستكلس وسيمونيس وبركليس نفسه ومن بعدهم أيضا ثلة الخطباء والمموهون ، فلم يكونوا سوى متملقين ومفسدين · أما الأوليجاركيون والديمقراطيون والمعتدلون، فلم يكونوا أحزابا بل كانوا أهواء مشتتة ·

تلك هى المسائل التى لام أفلاطون نفسه على عدم فهمها خلال السنوات الثمانى التى عرف فيها سقراط معرفة أدق متتبعا محاوراته وطرائقه وحياته • أى حماس ذلك الذى شعر به وأية ومضات تلك التى كشفت له عن أسئلة أستاذه المقلقة ! •• ولكنه قد عاش فى هذا العصر الذى صبغه بروحه وبكل لفحاته ، ثم تسلط عليه نزق الشباب وأعماه• ذلك ما أدركه أخيرا ، متعثرا أول الأمر متنورا بعد ذلك رويدا رويدا من درس الاتهام ومن درس الاعدام • وهذا ما يجب أن يعلمه الآن لمدينة أثينا التى تاق الى انقاذها •

ولو أن أفلاطون فهم من المساهمة الفعلية فى انقاذ المدينة أن يشارك فى السياسة العملية لكان هذا نزقا • فضلا عن أن هذا العمل لا يتم دون الاستناد الى حزب أو جماعة سرية •• وأنى له بجماعة من الأصدقاء يقبلون فعل شيء يختلف عن تلك السياسة المبتذلة : سياسة المنفعة والهوى والكبرياء ••• ! وما كان ليجهل ذلك الخزى المخضب بالدم الذى يؤدى اليه هذا الضرب من السياسة • هذا ولو أنه قام بالمحاولة الأخرى منفردا فى مقابل عمل الشعب وتعصب الأحزاب ، لكان نصيبه الموت العاجل من غير فائدة تجنيها الحقيقة • كلا ، ان من الأفضل أن تفرض تلك الحقيقة المشتملة على السلام على نحو آخر • يجب أن تؤتى أثينا من نقطة ضعفها ، من ناحية حب استطلاعها العقلى ومن ناحية حبها للهجاء وللروايات الهزلية ومن كلفها بالنقاش والمجادلات والحجاج • يجب أن نفزع كذلك الى ما للحقيقة والعدالة من معنى عميق فلعل البؤس والخطيئة المتزايدين لم يمحياه بعد من قلب جمهور الأثينيين ــ وربما كان من الممكن أخيرا عن طريق الوضوح والسهولة والصراحة التى

يبعثها رغبة صادقة شعر باصطراعها فى نفسه ، أقول ربما كان من الممكن عن هذا الطريق أن يؤلف بين نفر من شباب الأثينيين حول المنهج السقراطى يكون من بينهم من يخلصون الوطن فى القريب العاجل ·

لذلك ، ما كان لأفلاطون الا أن يترك قلبه يفيض ، ذلك القلب الذى غمرته محاورات سقراط على النحو الذى عرف به أخيرا · كما غمرته شخصية سقراط وبدلها الاستشهاد فتكشفت به وحده عن عظمتها الحقيقية ، ثم ذلك القلب الذى طغت عليه حياة ظلت محجوبة الى أمد طويل وهى التى لا تبغى الا التعبير عن نفسها فى الفعل وفى الخلق ·

كان شاعرا ، لا تزال حرارة شبابه تضىء تفكيره الذى صقلته التجربة · كم هى جميلة تلك القصة التى صاغها فى مخيلته حول هذا الدرس الحى أعنى التعليم السقراطى ! كان ماضى أثينا القريب ماضى أمس وما قبل أمس يحوى بذور هذا الدرس الحى أعنى بذور الأهوال أو قل الأهوال التى كانت على وشك الوقوع ؛ ولكنه كساها بسحابة من المجد ؛ تبدت فى شباب القيبيادس المزدهر وحيوية أقريتياس الطموح التى تشير الى شىء ما وطفولة خرميدس المتواضعة ونيقياس ونضوجه السياسى والحزبى ومشاهير السفسطائيين فى شيخوختهم البراقة ثم من هم دونهم شهرة ممن يتنازعون، من خلفهم ، الطلبة وبعد الصيت ، وأخيرا صورة طفولته اللطيفة ، صورة جمهور المراضات الفتى وهو يهرع بين درس وآخر ليشاهد سقراط ممسكا بتلابيب أحد تجار العلم هؤلاء · أى تباين فى المنظر ذلك الذى ارتسم فى غير دقة ثم تحدد واتضح ثم تمثل نهائيا فى ذهنه ، بين سقراط

وأولئك الأشرار من قادة أثينا من كهنة وقديسين وخطباء سفسطائيين وسياسيين وولاة ! شعر أفلاطون بأن المسرح الذى طالما أحبه والكوميديات الخفيفة والهجاء الماجن بل ومهازل خيال الظل فى السوق وذكريات شبابه الماكر العذبة ملاحظا فى خبث مفسرا فى سخرية ، العجائب التى تصادفه ، شعر أفلاطون بأن كل هذا يصعد من أعماق مخيلته مصطحبا آثاره متجمعا ؛ كى يهب الحرارة والازدهار لنسيج محاوراته الذى لم يزل جافا ٠

أما المذهب الذى غصت به المناقشات فى العلم وفى العدل والخير وكذلك حب الحقيقة المفرط الذى ظهر فى صورة عزيمة قوية أو فى صورة تهكم والضوء الذى غمر هذه المناقشات بالجمال الى جانب الابتسام فى هدوء ، أو السخرية فى رفق اللتين لعبتا دورهما فى هذه المناقشات ، كل هذا وجد منبعه فى شخصية سقراط الذى سيطر على عمل أفلاطون كما سيطر على روحه من قبل ٠ خلق أفلاطون سقراط من جديد وأعاده الى الحياة محققا ، مستجوبا ، مفندا ، هازئا أو وقورا باشا لنضارة الشباب كيما يكشفوا له عن نفوسهم مثيرا العجب والكبرياء فى السفسطائيين ؛ لكى يتفاخروا وتنتفخ أوداجهم فيجد فى ذلك خير وسيلة لرفع النقاب عن جهلهم الفاضح ، متخذا الجهل وسيلة ، جادا فى البحث عن الحقيقة لا لغاية الا حب الحقيقة ثم مضحيا فى سبيل هذه الحقيقة حتى يصل الى السجن وحتى يبلغ الموت ٠ ولكن أفلاطون قد نسى نفسه وراء هذا البعث وذلك التمجيد السقراطى واختفى أثره فلم يحى ولم يكن له وجود ٠ وكان فنانا مبدعا ضحى بنفسه فى سبيل روعة عمله ٠ كان طالبا مخلصا أخفى نفسه لتظهر عظمة أستاذه فى أحسن صورها ٠

وكان مفكرا خلص الحقائق المعقولة من أى ظل أو أثر من آثاره الخاصة ، فهل تواتر الى سمعه أن ذلك الموت الارادى كان ثمن خلوده ؟ ..

٣ ـ المحاورات الأولى

عكف أفلاطون على العمل بمجرد عودته . وسرعان ما ذهلت أثينا أمام رواياته النثرية التى أخذت تتتابع دون توقف تقريبا ... ولكن ما النظام الذى ساد تأليف هذه المحاورات الأولى ، وما النظام الذى امتد حوالى خمسين سنة ؟ ـ هذا ما يعترف النقد الدقيق بعدم الوقوف على حقيقته حتى الآن . وقد وصل الينا ذلك الانتاج بأكمله بل وأضيفت اليه أشياء أخرى ، اذ يتكون هذا الانتاج من اثنتين وأربعين محاورة بينها سبع وعشرون أو ثمان وعشرون ، يسلم الجميع بأنها صحيحة النسبة الى أفلاطون، سبع ثبت منذ العصور القديمة نفسها أنها منتحلة . أما باقى المحاورات فلا تزال موضعا للنقاش . وهناك أيضا تعريفات رغم كونها منتحلة تماما الا أنها تحوى جزءا كبيرا من التراث الأفلاطونى ، وكذلك ثلاثة عشر خطابا لا يوجه اليها النقد اليوم فى عنف وان كان قد قضى عليها مدة طويلة بأنها منحولة بصفة قاطعة . وأقل ما يمكن قوله عن هذه الخطابات هو أن أحسنها حالا يزودنا ، فيما يتعلق بحياة أفلاطون ، بمعلومات لا يمكن أن تصدر الا عنه ، أو عن تلاميذه المباشرين ـ فالخطاب السابع منها خليق فى مجموعه بأن يوضع فى مصاف محاورات العهد الأخير الكبيرة ، وتتوافر فى الخطاب الثامن نفس الاعتبارات التى ترجع نسبته الى أفلاطون .

أما الغاية التى نرمى اليها ، فهى تحديد الزمن التاريخى للمحاورات الصحيحة أو ترتيبها على أقل تقدير حسب تتابعها الزمنى ما وسعنا ذلك • فالنقد الحديث ، فى بحثه عن أساس أقل عرضة للتأثر بالأحكام الفردية ليسير عليه فى هذا الترتيب ، قد اعتبر محاورة القوانين التى تركها أفلاطون دون أن يتمها ممثلة لآخر ما وصلت اليه اللغة الأفلاطونية • وعلى هذا يمكن أن نقيس عليها المحاورات الأخرى بغية ترتيبها • وذلك بأن نبتعد ، تبعا لدرجة قرب المحاورات من أسلوب أفلاطون فى شيخوخته • ووصل هذا النقد الى أن يرتب فى يقين مجموعة من المحاورات المتأخرة فى ضمنها السفسطائى والسياسى وفيليبوس وتيماوس واقريتياس والقوانين • وأمكنه أن يرتب فى أغلب الظن مجموعة سابقة على المتأخرة ، وتتكون هذه المجموعة من الجمهورية وفدرس وبارمينيدس وتيتاوس • ويبذل هذا النقد كل ما فى وسعه كى يصل الى تكوين مجموعة متوسطة لا يزال تكوينها وترتيبها مذبذبا الى حد كبير وهى على ذلك يمكن أن تتضمن مينون وفيدون والمأدبة وأيون وميتكسانس وأوديموس وأقراطاليوس •

ولكن اليقين فى هذا المنهج يقل بطبيعة الحال كلما بعد الأسلوب عن أسلوب الشيخوخة الذى يعتبر محكا لذلك المنهج • نفهم من هذا أن من الصعب تحديد تاريخ محاورات الشباب تبعا لهذا المحك وحده فنضطر الى الالتجاء الى نظام من نوع آخر يفسح مجالا كبيرا للهوى والشك • فنحن فى هذه الحالة اذن لا نزال أقل قدرة منا فى الأحوال الأخرى على أن نجزم بأن محاورة ما سبقت أخرى أو هى تالية عليها، ولكن يمكن القول بصفة قريبة جدا من الحقيقة ، ان المجموعة

المكونة من هبياس الأصغر والدفاع وأيتفرون واقريتون وهبياس الأكبر وليزيس وخرميدس ولاخس وبروتاجوراس وجورجياس ، قد نشرت في الفترة التي تقع بين رجوع أفلاطون الى أثينا عام ٣٩٦ ق٠م تقريبا وبين رحلته الى ايطاليا عام ٣٨٨ ق٠م ٠

ومما لا شك فيه أن محاورة « الدفاع عن سقراط » هي بمثابة المقدمة المنطقية لهذه المجموعة من المحاورات ٠ كان هذا الدفاع عن سقراط باعتباره متهما مقضيا عليه بالاعدام مهيض الكرامة ، وكان الرأى العام يؤمن بهذا القول : ان المتهم يكون مذنبا في أغلب الأحيان ومن مات متهما فهو مذنب الى الأبد ٠ فان لم يكن مذنبا ، أفلم يكن في مقدوره أن يثبت ذلك وقد كانت مهنته الوحيدة المعروفة الكلام صبحا وعشية ؟ ٠٠٠ ـ وان كان التفنيد السقراطى الشهير قد صلح لشيء ما فلم لم يستخدم لافحام متهميه كما كان يفحم يوميا أبطال السفسطائيين والخطباء والسياسيين الذين اختارهم ليكونوا ضحاياه ؟ ٠٠ ـ فاذا لم يقم بذلك ـ أليس فيه برهان على أن مهارته التى طالما امتدحها المادحون ليست الا عبثا لفظيا وفنا للتلاعب بالكلمات ؟ ٠٠ ـ كان هذا المنهج جديرا بأن يفتن صغار الأغرار ؛ ولكنه لا يصلح لأن يخدع من يحيون حياة واقعية من الرجال ٠ فاذا لم يعرف كيف يصوغ الكذب ليضلل قضاته فلم لم يفزع الى العاطفة الانسانية بأن يتضرع اليهم وأن يستثير شفقتهم بشكاواه التى كانت فى متناول يده والتى كان نجاحها مؤكدا والتى لم يزدرها من نازعه الشهرة ؟ كان متكبرا عنيدا وإثقا من الأيام الطويلة التى قضاها دون عقوبة ٠ فلم يكن باهظا

ذلك الثمن الذى دفعه ثمنا لتطاوله على الآلهة والنظم والقوانين .

ستكون محاورات أفلاطون ردا على هذا الحكم السائد . فهى سلسلة مرافعات غير مباشرة واقناعية الى أقصى حد ، لأنها ستظهر براءة سقراط وكرمه من أفعاله . وحسنا كان الرد جملة على البهتان الذى بعد أن أودى بحياة سقراط جرح ذكراه وسخر منها . أليست خير وسيلة لجعله دفاعا قويا هى أن يصدر على لسان المتهم ؟ ... ـ علينا اذن أن نعيد المقال الذى أدلى به أمام القضاة وأن نضفى على هذا المقال دون تشويه ما للبيان من قدرة خفية على الايضاح وأن نحافظ دائما على بساطة الطريقة السقراطية وعلى عظمتها . وبذلك تحول هذا المقال الى عرض واضح للدور الذى لعبه سقراط فى حياته ولرسالته المقدسة وما قدمت يداه من خير لم تقدر قيمته ، ولمقاومته الحازمة للكوارث ثم لتضحيته التى ارتقت حتى بلغت الذروة ... هذا عين ما فعله أفلاطون فى محاورته الموسومة « بالدفاع عن سقراط » .

أليس فى عجز سقراط عن دفع الاتهام الأخير دليلا على أنه كان متهما سلفا ؟ ... لقد تشبع قضاته منذ نعومة أظفارهم بأكاذيب المسرح الذى صوره فى صورة سفسطائى ينقب فى السحب عن علم لا وجود له وفى صورة من يزدرى الآلهة . هب أنه كون من حوله عددا من الأعداء الذين أصبحوا يضمرون له البغض ، أفلم يكن هذا خضوعا لوحى الاله دلف ؟ .. ـ أعلن هذا الوحى أن سقراط أكثر الناس حكمة . فلما شعر بأنه لا يعرف شيئا أخذ يتردد على من يدعون الحكمة من خطباء وساسة وشعراء وفنانين وانتهى

باقناعهم جميعا بأنهم جهلاء · وخرج من ذلك بأن كل ما له من تفوق في الحكمة هو أن الآخرين لا يعرفون شيئا ويتوهمون المعرفة وأن له هو هذا العلم على الأقل وهو معرفته بأنه لا يعرف شيئا · رغب القوم ، الذين كشف لهم عن خداع أنفسهم في موته وازدادوا كرها له ؛ لأن من استمع اليه من الشبان سلك مسلكه في افحام المدعين وفي اثارة الحفائظ ·

وهكذا ، وجد ضحايا سقراط السبيل سيدة للانتقام ؛ فوجهوا اليه في غير ما مشقة نفس الاشاعات التي شاعت ضد الفلاسفة · ولكن كيف رغب سقراط في افساد الشباب ؟ · · — أليس من الجنون افساد من نحيا بينهم سيما وأنا سنكون أول من يكتوى بشرهم ؟ · · كيف تأتى لهم أن يتهموه بالشك في الآلهة وهم يتهمونه في نفس الوقت بانصاته لصوت مقدس خفي ذلك الصوت الذى يسيره ويؤيده ؟ · ·

والواقع أن الخطر الحقيقي لم يكن في ثنايا تلك الصيغ المتناقضة التي اختلقها بكل وقاحة كل من انتيوس وميليتوس · ولكن كان الخطر يكمن في غضب الشعب الأزرق الذى سبب هلاك الكثير من الممتازين والذى سيسبب هلاك سقراط بدوره · ألم يكن تعنتا جنونيا أن يصمم سقراط في مثل هذه السن على ذلك السلوك الذى عرضه للموت ؟ · · ان كان ذلك فعلينا أن نسم الأبطال وأنصاف الآلهة بالجنون أولئك الذين يفضلون الموت على المذلة · ان سقراط الذى واجه الموت في ساحات القتال اطاعة لأوامر بلاده ، سوف لا يعصى الوحى ويفر من سجنه لأن الفرار شر · ان رسالته اصلاح البشر وسوف لا يقلع عن هذه الرسالة · لقد تقبل هذه الرسالة من أجل اصلاح أثينا ، فان أهلكوه فالله قدير على أن يرسل فردا

آخر . ان كان لا يرضيه أن يرى أثينا تتردى فى الشر وتخلد فيه • هذا الفرد سيمتنع مثله عن المشاركة فى السياسة الفعلية ؛ لأن كل من التمس نفعا عن هذا الطريق لقى حتفه سريعا • صمد سقراط للظلم سواء فى عهد الثلاثين أو فى عهد الديمقراطيين • فلم يعترف على الاطلاق بانه مذنب ولم يتزلف قضاته • لقد اتهموه ؟ •• فليكن ! •• اما الغرامة فقد قبلها بعد لأى ؛ لأن أفلاطون واقريطون واقريطوليوس وابولودوروس سيؤدونها عنه • ولكنه لا يستحق فى الواقع الا أن يعيش على نفقة الدولة في مجلس الشيوخ باعتباره مصلحا للمدينة • أيحكم عليه بالنفى ؟ بتاتا ! •• فكيف تتحمل نقده بلاد غيره بلاده فى حين أن هذه الأخيرة لم تطقه ؟ •• أما أن يحيا دون اعمال فكره فليست هذه حياة • فالموت اذن سيكون مصيره ، وقد تقبله سقراط دون وجل • سوف لا يفرق الموت الأثينيين وسيكون لديهم بعد اختفائه نقد آخر يفوق الأول شبابا وقسوة ، بل ان الموت هو الدعة فى نوم لا تشوبه رؤيا أو أمل فتان • ستكون الاقامة فى العالم الآخر الذى يسكنه القضاة العادلون والأبطال الأقدمون •• خير دار له • فما كانت الحياة وما كان الموت ليسيئا الى رجل الخير •

٤ ـ جورجياس أو العلم الضرورى الوحيد

يمكننا أن نقول ان فقرة واحدة من محاورة الدفاع تلخص المنهج الذى يبدو أن المحاورات الأولى أرادت استيعابه • شرع سقراط ، لكى يقف على معنى وحى دلفوس، فى القيام بجولة نقدية تتناول استجواب جميع قواد المدينة

كل بدوره واقناعهم بالنقص • وكانت فصول هذه الجونة المتباينة ، فصولا متنوعة من رواية اختلطت فيها المآسى بالمهازل ، هي التي أخذ أفلاطون يقذف بها الواحدة تلو الأخرى الى الجمهور الأثينى •

في محاورة لاخس ، سخر من سلامة النية المعتادة العاجزة التى نراها عند الممتازين من الناس • والدان نبيلان يظهران فى هذه المحاورة جادين في البحث عن وسيلة لتنشئة ابنيهما اللذين يحملان اسمي جديهما قيوسيديد وارستيد • وهذا كل ما أمكن الأبوان أن يهباه ابنيهما ، مع ذكريات عن الأسرة براقة • وهكذا عجز أعلام الدولة عن أن يجعلوا من أبنائهم شيئا آخر غير مجرد فاكهة فجة • ولما طلب من القائدين الشهيرين نقياس ولاخس أن يدلوا برأيهما فيما يختص بخير وسيلة لتربية هذين الشابين تعذر عليهما تماما أن يكونا رأيا واضحا ، بل كان من الواجب أن يرسلا نفسيهما الى المدرسة • وقدمت محاورة ايتيفرون عرافا شهيرا يتحكم حسب هواه فى معتقدات الجمهور ويعلمهم احترام الآلهة ولكنه لا يفسر ماهية الدين وماهية التعبد • وفى المحاورات الشيقة هبياس الأصغر وهبياس الأكبر وبروتاجوراس وجورجياس ، يظهر السفسطائيون والخطباء وهم يغدقون فى وعودهم ويظهرون فصاحتهم ، ثم يستجوبهم سقراط ويعيدهم فى مهارة الى موضوع الحديث فى كل مرة يشطحون فيها ، وعبثا يحاولون ستر جهلهم •

ولم يبد أى أثر مدرسى فى النسج المنطقى المحكم لهذه المؤلفات • فوجد الأثينيون المولعون بالمسرح فيها أنواع الروايات على اختلافها ابتداء من الدعابة بين شخصين من

جنس أضاحيك الألاعيب كما نرى فى هيبياس الأكبر ، الى الكوميديا فيأسمي معانيهاكماتقدمها محاورة بروتاجوراس، حيث يظهر أعلام السفسطائيين على المسرح بمجرد الانتهاء من ديباجة المحاورة فيأخذ كل منهم فى الخطابة وسط حلقة مستمعيه دون أن تفوته مراقبة الحلقات الأخرى . ثم يجتمعون بعد ذلك للنقاش حيث تسمح ثنايا الحديث وسكناته لكل شخصية ، سواء أصغرت أم كبرت بأن تعرض نفسها وتقوم بدورها . وفي المهازل وفي الكوميديات المتزنة على السواء يشعر القارىء بحركة حيوية وبتكون مسألة لها خطورة عظمي . وفي كوميديا الصراع الموسومة جورجياس يتزايد الانفعال من فصل الى آخر حتي يبلغ اعلى درجة من درجات المأساة وتصاغ المسألة الخطيرة حقا على هذا النحو : « الى من نعهد بنفوسنا وبنفس المدينة ؟ .. ما الشيء الوحيد الضرورى ، وأية خطة توصلنا الى اليقين فيه ؟ .. من مخلصنا ؟ » .

وضعت هذه المسألة فى مستهل محاورة بروتاجوراس ، كما لو كانت وعيدا منذرا . سأل سقراط ، الفتى هيبوقراط الذى حضر مسرعا يوقظه في الصباح الباكر طالبا فى شوق أن يقدمه لأحد كبار السفسطائيين ، ان كان يدرى مقدار الخطر الذى سيعرض نفسه له . فمن يكون ذلك الرجل الذى جهل عنه كل شيء خلا اسمه ومجده الرنان ؟ .. انه تاجر وسمسار علوم . أيشترى غذاء روحه على هذا النحو من أول شخص يقابله ؟ أليس فى ذلك « مقامرة بحياته » ؟ يجلب غذاء الجسم فى وعاء ومن الميسور فحصه فى المنزل ، أما غذاء الروح فانا نتقبله مرة فى العمر وبمجرد تقبله لا يسعنا أن نتناوله أو نطرحه .. فقد ركب فينا ان

خيرا وان شرا · وفي قلب المحاورة يتابع سقراط ، وفى كثير من الدهاء ، مع بروتاجوراس المتملص ، مناقشة تؤدى الى نفس السؤال : من أين يأتينا السلام ؟ ·· واذا سلمنا مع بروتاجوراس بأن السعادة ليست الا قدرا معقولا من اللذات ، ألسنة محتاجين أيضا فى تعيين هذا القدر الى علم بالمقاييس ؟ أعلن سقراط أن العلم سام فى رأيه · فما من شيء يمكن أن يستظهر عليه ، وفيه وحده يجب أن نبحث عن السلام الذى ننشده ·

ولكن أى علم ؟·· ان أقوى اتجاهات العصر لتجيب : « انه البيان » ، ومن العبث أن نبحث خارج نطاقه عن خطط معقدة كثيرة التفصيل ، وأن نفني حياتنا فى السعى وراء حقيقة لا يمكن الوصول اليها · ان الخطة التى تخلصنا هى التى تجعل منا أسيادا لعقائد البشر · والبيان آلة الاقناع التى لا تفشل ، والعلم الدقيق المضنى ليس من شأن البيان فى شيء ، وبفضله سيكون من لا يعرف أكثر انقيادا ممن يعرف ، ولما كان البيان سيدا للعقيدة فقد أمسك بسبل السلطان · ان البيان ليس سلاحا للدفاع فحسب ، بل هو سلاح للهجوم كذلك · فهو يكفل اذن لمن يجيد استعماله قدرة كاملة فى المدينة لأنه يوجد العدالة الحقة والقوة ويدير أو يعكس العقبات الشرعية الخاسئة التى يخيل لجمهور الضعفاء اقامتها فى وجه الأقوياء · ان الاعراض عن البيان والسعى عن طريق علماء يجادلون بالباطل لايجاد حقيقة وعدالة عالية لا يعلم أحد كنههما والتظاهر بحب الحكمة وبذل العمر فى التهامس فى مكان قصى مع نفر قليل من الشبان ، ليس هذا كله مسلك رجل فى الحياة بل هذا مسلك جدير بالعبيد ، انه اعداد لارتعاد الفرائص وانفراج

الشدقين والخضوع مقدما لـكل ضروب التنـكيل اذا قادت الظروف المرء الى الظهور في ساحة القضاء ٠

تلك هى النظرية التى عرضـها وحاربهـا أفلاطون فى محاورة جورجياس ٠ لقد قسم تلك النظرية الى ثلاث صيغ متتالية : « ان البيان آلة الاقنــاع » فمن الذى يستطيع أن يبسط هذا المبحث خيرا من جورجياس المتخصص في سـحر الكلام ؟ ٠٠ يذكر تلميذه بولس الفلو المتحمس الوقح فى سفه غايات هذا الاقناع ، ويتشدق بأن البيان آلة القـدرة التامة وخالق لتلك المتعـة القصـوى أعنى « الطغيـان » ٠ وأخيرا ، يعلن الأوليجاركى خالقليس النبيل المثقف الدمث أحيانا الفظ فى أحيان أخرى أن الحق للقوة ، ويكشف عن التعارض الأساسى بين الطبيعة والقانون ويبين وجه الدهاء فى ذلك القانون، حيث تكاتف الضعفاء لاستعباد الأشبال عن طريق مذاهب كلها افك وبهتان ، لقد تمنى بكل جوارحه أن يولد الانسان الكامل ليهشم كل قواعد العدالة والمسـاواة ويعود الى « حق الطبيعة » الى القوة الهائلة الجبارة ٠ هـل نشر أفلاطون هذه المحاورة ردا على تلك الرسـالة الباطلة « اتهام سقراط » التى كتبها يقينا بعـد سـنة ٣٩٣ ق٠م بوليقراتس السفسطائى ؟ ٠٠ قد يكون ذلك ، ولـكن من المؤكد أن أفلاطون اذا لم يكن قد وقع عـلى تلك الرسـالة التشنيعية ، فقد عثر على كثير غيرها مما دفعه الى تأليف تلك الرواية الشيقة فى الأخلاق الانسانية ليجمع فى هذا المؤلف القوى ، الأفكار الخطيرة التى تفسر أمام عينيه انحلال الروح العامة وتفسر منهاج السياسـة الأثينية الضـال ٠ يجعـل أفلاطون هذه الأفكار الخطيرة فى مقابل الحقيقة التى حياها

سقراط ودافع عنها وفى مقابل المثال الأعلى الذى أخذ على نفسه تقديسه • فكانت محاورة جورجياس بمثـابة دفاع وخطة للسير •

ليس للخطباء الحق فى آن يسخروا مطلقا من سقراط : لأنه وقف حياته على البحث عن علم كلى ضرورى ، وليس لهم آن يسخروا من عجزه أمام اتهام جائر • أيدعى البيان أنه علم ؟ ليس البيان الا مهارة رخيصة وفنا للتملق • ولكنـه يضمن القدرة ؟ •• نعم ، بالنسـبة لأولئك الذين يعبدون القوة ويتملقون الطاغية ان كان حاكما فردا أو جمهـورا مستقلا ــ ولكى يسايروا الظلم المتغلب جعلوا من أنفسهم ، قوما ظالمين • انها لبضاعة رخيصة : أن نزرع الفتن لنحصد النجاة •• بل خير لنا أن نتحمل الظلم من أن نرتكب الضلال •

هل القوة اذن كسب ؟ •• ــ هل السعادة هى حق القوى الذى أشاد بذكره خالقليس ؟ وهل هى قدرة الانسان التامة وتزايد رغباته ومتعته تزايدا لا حد له ؟ •• ــ أليس حق القـوة عـلى النقيض من ذلك جنون معتل منغص من حك قروحه ؟ •• ــ ان السعادة هى الخير ، والخير سواء أكان خير النفس أم خير المدينة أو كائنا ما كان ، فهو النظام والانسجام الداخلى والتوافق والخضوع للغاية التى نسعى اليها •

ان كان الظلم قد بدا منتصرا ، فيما ذكرنا ، فلنوقن أن الموت الذى يكشف عن النفوس سيورث الأشرار بؤسا دفينا، فالسعادة لأولئك الذين يقابلـون المـوت بقلـوب طاهرة ، والشقاء لمن يخلدهم الموت فى ظلمهم ! ••

٥ ـ الرحلة الى ايطاليا

وتأسيس الأكاديميـة

كل شيء يحمل على الاعتقاد أن نجاح المحاورات لم يكن مجرد نجاح فى عالم التأليف ، فقد وجهت المحاورات الشباب الأثينى الوجهة التى كان يرجوها أفلاطون • ولقد اختـار أفلاطون ذلك الضرب من الحياة الذى سـخر منـه فى عنف ممثل الأوليجاركيين ، فى اللحظة التى أخذ فيها النقاش يبلغ أشده بين سقراط وخاليقليس بصـدد التقابل بين البيـان والفلسفة • لقد قرر أفلاطون أن يفر مدة طويلة ان لم يكن الى الأبد ، من المنتديات الأثينيـة ومجتمعاتها ومجادلاتهـا السياسية وأن يختفى فى موت ظاهرى •• باذلا حيـاته فى التهامس فى مكان قصى مع نفر قليل من الشبان •• وكان فى سبيل تكوين جماعة منظمة من حوله ، يمكنه أن يعهـد اليها بالسياسة الوحيدة للسلام : سيكون شبابا خالص النية متحمسا ثابت العزم ، عن طريق الدرس والتأمل المشترك فى ذلك العمل النبيل وهو اعادة تنظيم المدينة عـلى أسس من العدالة والقانون • كان وضع هذه الأسس فى ذهن أفلاطون كما كان فى ذهن سقراط ، مهمة علم العلوم • هـذا العلم الأسمى الذى تتجه نحوه الفروع الأخرى اتجاهها نحو كمالها وغايتها هو العلم بالخير ، وهو فى نفس الوقت أخلاق خاصة وأخلاق عامة واسمه الحقيقى علم السياسة • وتميزه محاورة جورجياس بأن تجعله فى مقابل تقليده الخداع أعنى البيان الذى أقحمه السفسطائيون فى عمل السياسيين • ان هـذا

العلم لا يصدر عن التعود والذاكرة والتخمين ، بل يستخلص عن طريق الاستدلال · وهو يقيم وزنا لما يرتكن عليه ويتقدم عن طريق الحد والبرهان واستخلاص النتائج ويربط بين أسبابه « بروابط من حديد ومن ماس » · ان الفكرة التى تذهب الى أن العدالة الهندسية هى العدالة المثلى لدى الآلهة كما هى الحال لدى الانسان ، والاستعانة بالعلماء الذين يقولون بأن الأرض والسماء ، والبشر والآلهة ، يربطها توافق تام، والذين ينظرون الى العالم تبعا لذلك كأنه تأليف متجانس ، كوزموس ، ان هذا وذاك ينير لنا السبيل الذى يجب أن نلتمس فيه نموذج ذلك العلم · أدرك أفلاطون ، تلميذ وصديق تيودوروس من سيرينيا ، أن المقتضيات السقراطية للفكرة الواضحة والمعرفة التى لا تخطىء تفرض على علم الخير اتباع المناهج والدقة الرياضية ·

كان فى ايطاليا الجنوبية فى ذلك الحين « رياضى » ذائع الصيت كأن يجمع فى شخصيته جمعا تاما بين مواهب العالم ومواهب رجل الدولة هو أرخيتاس أحد مؤسسى الميكانيكا العلمية وعلم الصوت ، وهو كذلك كما يذكر أرسطو أحد أولئك الباحثين الذين «سموا بالفيثاغوريين» · والواقع أن هؤلاء لم يرثوا ما يزعمونه من تعاليم سرية عن حكيم ساموس وأقريتونيا ؛ ولكنهم مجاراة للروح التى سادت الأدب فى ذلك الوقت أحبوا أن يكسبوا مذاهبهم ما للعصور القديمة من تأثير فاختفوا بطبيعة الحال فى مدينة التراث الأورفى والفيثاغورى ، تحت ذلك الاسم الساحر الذى أصبح أسطورة منذ أمد طويل ، أعنى اسم فيثاغورس · كان أرخيتاس يناهز أفلاطون السن ويجب أن يكون قد مات قبله بعشرين عاما ، وعلى وجه التقريب عام ٣٦٥ ق·م ·

عاش فى مدينة تورينا فى شمال ذلك الخليج الذى تحيط به مدن شهيرة فى تاريخ الفيثاغورية والأورفية كمدينة متابونتس وسيباريس وبتليا وكروتون · كان سياسيا قديرا وقائدا موفقا تولى الحكم سبع مرات رغما عن القاعدة التى تحظر على المواطنين فى تورينا أن يتقلدوا هذا الشرف أكثر من مرة واحدة · وحكم فى مسقط رأسه ، كما فعل بركليس ، حكما مطلقا فى الواقع دون الظاهر · ومهما يكن من أمر الظروف الحقيقية التى قادت أفلاطون اليه ، فان مقابلة حاكم فيلسوف رياضى قد تجاوبت . فى تلك اللحظة . مع تمنياته الحقة ·

كانت مدينة الباحثين عن السلام هذه تنبض بالحياة الماجنة كذلك ، وقد حافظت سيباريس على شهرتها ولكن تورينا نفسها ، كما يروى أفلاطون فى محاورة القوانين ، كانت غارقة بأسرها فى السكر طيلة أعياد ديونيسوس · وسيرى أكثر من ذلك فى سيراقوزا : من موائد لا ترفع وافراط فى المأكل والمشرب، ذلكم ما قدمته له، بادىء بدىء ، مدينة الطاغية دنيس الأول وما حباه به قصره ·

مزقت الأحزاب سيراقوزا بعد أن انتصرت أثينا على الغزو ؛ بفضل غيرة هرموقراط الذى دافع عنها وبفضل مساعدات لاقيدومونيا الفعالة · ثم أقصى هرموقراط وقامت ديمقراطية متطرفة لم تتمكن من الحيلولة بين القرطاجنيين العدو التالد ، وتدمير سيلينونتا وهيميرا واغتصاب أجريجانتا فى آخر الأمر · وقتل هرموقراط فى محاولته دخول سيراقوزا عنوة ، بعد أن كان قد قام بحرب ضد القرطاجنيين على نفقته الخاصة · واستغل دنيس ، أحد أنصار هرموقراط الفتيان ، ثورة النفوس التى أحدثها سقوط أجريجانتا فتقلد

السلطة ثم أصبح الحاكم الوحيد واستطاع بطريق المناورات أن يركز كل القوى الفعلية فى شخصه ٠

وفى عام ٣٨٨ق٠م هذا ، وبعد سبعة عشر عاما من حكم الطغيان ، كان قد انتهى من اقصاء القرطاجنيين فى الطرف الغربى من صقلية ، وجعل الجزيرة بأكملها على وجه التقريب تحت حماية سيراقوزا ، بل وتقدم زيادة على ذلك بفتوحاته فى ايطاليا الجنوبية ، وكان نفوذه قد قوى فى اليونان بأسرها فأخذ يعد العدة لتقوية ذلك النفوذ ، خدمة لأطماعه الشاسعة ، بأن يشترك فى الألعاب الأوليمبية التى تقام فى الخريف القادم ٠ وفى هذه اللحظة التمس منه صهره ديون ، الذى كان رئيسا لوزرائه والذى لم تنقطع رغم ذلك صلته بحكام تورينا أن يدعو أفلاطون للحضور ٠

لم يتمكن هذا ، يقينا ، من التنبؤ بالنتائج البعيدة لتلك الرحلة ، النتائج التى جعلت من تاريخ صقلية تاريخا لحياته الى حد ما ٠ ولكن مقابلة طاغية من شاكلة دنيس اتفقت مع ما كان يخامره من أفكار كالحال فى مقابلة رجل الدولة الفيلسوف أرخيتاس ان لم تكن قد زادت على ذلك ٠ تشهد الرسالة السابعة على صحة ما تدفعنا محاورة جورجياس الى افتراضه ، ففى اللحظة التى زار فيها أفلاطون ايطاليا وصقلية للمرة الأولى كان قد أدرك تماما رسالته فى الحياة ، وكان قد وضح فى نفسه منذ ذلك الحين المبدأ الذى تفصله محاورة الجمهورية : « لن يسود السلام المدن الا اذا أمسك الفلاسفة بزمام السلطة ، أو أن يتحول من بيدهم السلطة من الرجال الى الفلسفة الحقيقية » ٠

لم يفكر أفلاطون مطلقا فى محاولة ادخال حكم الفلسفة بالقوة فى مدينته الخاصة أثينا • ولم يؤلف محاورة أقريتون الا ليظهر فى سقراط ، ويذكر على لسانه احترام قوانين البلاد احتراما مطلقا • فعلى كل مواطن غير قادر على اصلاح بلاده بالوسائل المشروعة أن يلزم الطاعة والصمت • أما العنف فهو عقوق بالنسبة للوطن كما هو عقوق بالنسبة للوالدين • فلم تكن لدى أفلاطون اذن فكرة أخرى حين ألف جورجياس الا أن يكون أثناء الدرس أو أثناء الفراغ، القادة الذين يحملون الأثينيين ، حين تسنح الظروف ، على قبول هذا النموذج من الاستبدادية المتنورة • ولكن أليس من الميسور أن نفيد من العنف القائم فى الأماكن الأخرى ، وأن نختبر فى هذه البلاد التى ستكون ميدانا للتجربة ، المستبدين الموجودين ؟ •• ـ ذلك هو المجهود المزدوج الذى شغل أفلاطون مدى حياته •

على أية صورة حاول هذا الاصلاح بالنسبة لدنيس؟ ••ـ وهل كان فى حاجة الى أن يجرى هذه المحاورة على نحو خاص حتى يثير غضب الطاغية ؟ •• ـ ألم يكتف هذا الأخير برؤية الحالم ، الذى كتب فى محاورته جورجياس صفحات دامية عن أركيلاوس طاغية مقدونيا ، يؤثر بسرعة فائقة فى دنيس الصغير ؟ •• ـ فكان أن اضطر أفلاطون ذات يوم الى الابحار على سفينة لاقدومونية، وكانت اسبرطة فى حرب مع أثينا منذ عام ٣٩٥ق•م واتخذ أسطولها أجينا قاعدة له وكان يشرف من هناك على ميناء بيريه ويقلق شواطىء أتيكا • ولما نزل أفلاطون فى هذه الجزيرة المعادية لأثينا بيع بيع الرقيق • واشتراه لحسن الحظ أنسيريس من سيرينيا ؛ فأعاده الى أصدقائه والى الفلسفة •

وعلى الرغم من أنه طرد من بلاط سيراقوزا على هذا النحو من القحة ، فقد رحل منتصرا الى حد ما اذ ترك أحد حلفائه فى مكانه • عمل أفلاطون دون قصد ، كما يذكر ، بتحويله ديون الى أفكاره الاصلاحية ، على تحطيم الطغيان ، ذلك لأن الأمير الصغير سيحيا ، وسط الفساد الذى يحوطه مشايعا للفلسفة • وكانت صداقة الأمير بالنسبة لأفلاطون ، منبعا للسرور الغزير ولآمال فشلت تمام الفشل • فلئن لم يتمكن من تحقيق المدينة الكاملة التى تمناها حتى عن طريق ذلك التلميذ المتحمس المخلص، فلعل هذا السرور وتلك الآمال أن تساعده فى جو الأكاديمية الصامت على العمل البطىء فى التعليم والخلق الأدبى • ذلك العمل الذى يجب أن يكون قد أكد لحلمه أثرا يتضاعف فى الزمان والمكان •

أعجب أفلاطون فى ايطاليا بالاخاء القائم على أسس عملية الذى استحدثه الفيثاغوريون فرغب ، حين عودته ، فى أن يهب المجادلات التى كان قد بدأها منذ فترة من الزمان مع الطلبة الذين جذبتهم محاوراته ، شكلا ثابتا وتكوينا منتظما • فألف فى حدود القانون ، جماعة دينية ، وجمعها فى مكان صغير مقدس موقوف على آلهة الشعر ، فى الحديقة التى تحيط بملعب الأكاديمية فى الشمال الغربى من أثينا على بعد ستة فراسخ تقريبا من باب ديفيلون • ثم أصبح المكان المقدس والأرض المحيطة به ملكا لما يمكننا أن نطلق عليه منذ ذلك الحين مدرسة الأكاديمية • أما بالنسبة لغرضها فكانت شيئا شبيها بمدرسة للعلوم السياسية ، وأما بالنسبة لتكوينها فكانت شيئا شبيها بمدرسة دينية على درجة من الاتساع ينضم اليها الأعضاء دون قيد ولا شرط؛ ولكنهم يعملون عادة فى تكوينهم الأخلاقى والعلمى من حول أستاذ

يوجه العمل ويمنع الشطط ٠ كان المرمى البعيد اصلاح المدينة ، أما المرمى المباشر فكان اصلاح النفوس عن طريق التطهير الذهنى والبحث العلمى والتقدم الحثيث نحو الحقيقة الكلية ٠

العـلم المثـالى

١ ـ الحقائق المعقولة

وضع أفلاطون نصب عينيـه أن ثمة حقيقة • أليست هذه هى العقيدة التى بعثت الحياة فى نقد سـقراط الدائم وسعيه وراء الفكرة الواضحة وتشدده فى ايجاد التعـريف الثابت المحدد الذى يستخدم قاعدة للفعل الانسانى معترفا بها من الجميع ؟ •• ألم يكن فى سبيل حقيقة كهذه وعدالة غير معتمدة على هوى الأفراد وقاعدة لا تتغير بتغير الأفكار ، أن ضحى سقراط أخيرا بحياته ؟ • ان الذى سمم المدينـة فكرة مؤداها أن الفرد مقياس كل حقيقة ، وكل قانون كمـا هو مقياس لاحساسه باللذة والألم : فعقيدته ورغبته وفعله تخلق قانون الأشياء وكيانها كما تخلق قانـون المجتمعـات وكيانها فما من شىء الا ويصدر عن نفسه وعن ارادته • فان أردنا فى وقت ما أن نصلح الحياة العامة ، وجب أولا أن نصلح الأذهان فنوجهها من أجل ذلك نحو محور ثابت ونعيد فكرة الحقيقة اليها ونبعث فيهـا من جـديد حب الحقيقـة الذى لا يقهر •

زاول أفلاطون هـذا العمـل فى الاصلاح الذهنى عن طريق تعليمه فى الأكاديمية وعن طريق محاوراته • فهـل

يتطرق الى نفوسنا شك اذا ما قسنا محصول أفلاطون ومنهاجه في تعاليمه على محصول ومنهاج أعماله المكتوبة ؟ كان النسق المتشابه الذى سار عليه هذا الانتاج الأدبى فى الفترة بين تأسيس الأكاديمية وبين رحلة صقلية الثانية مثلا (٣٨٨ ــ ٣٦٦ق٠م) ، كافيا لأن يطمئننا (على صدق هذا القياس) ٠ فلم تنضب مادة المحاورات ان لم تكن قد صارت أكثر اتساعا وأكمل شكلا وأدسم مذهبا ٠ والواقع أن هذه المحاورات تعتبر أصدق معبر عما كان يحدث فى المدرسة : فكانت تحافظ على التجانس بين قلوب الطلبة ، وكانت تحمل الى المطالعين الخارجين هتافات تستميلهم وقد تقودهم يوما الى العتبة الخارجية ٠

فلا بأس علينا اذن ان تركنا أنفسنا تذهب مع فتنة هذه الدروس الروائية ولنقرر أن حديث الأستاذ فى الدروس الداخلية على شدة عمقه ، بالنسبة لنضج الطلبة وحسن تكوينهم ، زاده زخرا ما كان يسوده من حياة ونزعة شعرية ٠ ويذكر لنا ذلك أفلاطون نفسه الذى احتفظ عمله الأدبى ، خلال الأجيال ، بومضة فكره الحية : ان الدرس المكتوب كالتمثال الجامد لا يملك ايضاحا ولا حجاجا ، ولكن الحديث الذى تبث العلم فى ثناياه لا يكون بمثابة الصنم فى قلب الطالب بل هو حياة وهو روح ٠٠ تمثل الشك الجورجياسى ، وتمثلت النسبية البروتاجوراسية على الأخص بشكل جلى فى صيغة الفعل الانسانى الذى يصل الى أقصى درجات الحرية والخلق ٠ ويحفر أفلاطون الى أعماق بعيدة حتى يتمكن من اظهارهما « جورجياس وبروتاجوراس » ، متشبثين بأطراف واهية فى لجة تصور ميتافيزيقى عام عن طبيعة الأشياء ٠ فهو يكشف لنا فى بروتاجوراس عن تلميذ لهرقليطس، ابتداء

من محاورة اقراطيليوس • فان قال الأول ان «الانسان الذى أكونه مقياس للوجود والحقيقة ، والأشياء كما تبدو لى هى كذلك فى الحقيقة لأن وجودها فى أية لحظة ليس سوى ما تبدو عليه » ، فان الآخر قد أعلن أن « الأشياء جميعا ليست سوى صيرورة وسيال دائم ، فما من شىء يبقى على حاله وما من شىء يوجد ، عدا هذا القانون ، ان كل شىء يتغير ويمضى دون توقف » •

كيف يمكن أن تقوم للعلم قائمة فى هذه الأحوال ، ذلك العلم الذى يكفل دون سواه القانون والعدالة والخير وهى نظم المدينة المقدسة كما هى الحال بالنسبة للفرد ؟ • • ود أفلاطون لو يظهر التعارض بين أستاذيه اقراطيليوس وسقراط كما كان هذا ظاهرا فى وعيه فى مؤلف أدبى • فسقراط الذى عاشر اقراطيليوس فى صباه مدة قصيرة ، حمله على الاعتراف بأنه لو لم يبق شىء على حاله لما وجد الفكر شيئا يتناوله بالبحث • • وعلى ذلك لن توجد موضوعات للمعرفة ولا ذوات عارفة • ولكن اذا أمكن أن نؤكد أن « الجميل والخير وكل ما يدخل تحت هذا الجنس من الأشياء » لها حقيقة وأن هذه الحقيقة ثابتة ، وهى على الدوام ما هى عليه ، ولا تتغير كل حين حسب وجهات النظر المختلفة ، وجب علينا حينذاك ، رغم عناد اقراطيليوس، أن نقول وداعا يا نظرية هرقليطس•

ومع ذلك ، فان نظرية هرقليطس صحيحة ، هى صحيحة بالنسبة لكل ما يسمونه بالوجود والحقيقة ؛ لأنهم لا يعتقدون حقيقة الا ما يرونه بأعينهم ويلمسونه بأيديهم • نعم ، ان ذلك العالم الذى يعيشون فيه ، هو حقيقة « عالم يمضى ويزول » وتلك الحقيقة التى يتظاهرون باصابتها ليست

الا مظهـرا عابرا · قد أحبوا الأنغـام المتـوافقة والألـوان المتجانسة والأشكال المنسجمة ، تعلقوا بالبدن وبجماله الزائل ورغباته المتغيرة واحساساته المحدودة · وهذا جميعه ليس الا قصورا وخداعا وكذبا · فذلك المظهر المتحول يمكن أن يصير موضوعا لعقيدة أو لفـكرة هى بدورها متغيرة عـلى الدوام ولكنه لا يمكن أن يكون موضوعا لعلم ما ·

وما دمنا نؤكد ضرورة العلم ، وما دام وجوده مقدسا بالنسبة الينا كما هى حال العـدالة للخـير ، وجب أن نؤكد كذلك أن له موضوعات أخرى غير الأباطيل الزائلة التى تضلل مطلبنا للمعرفة وللحب ، فموضـوعاته روحيـة ومعقولة · لا تراها أعيننا ولا تلمسها أيدينا ولكن تدركها أذهاننا وتجد فيها الحقيقة الراسخة والوضوح التام والجمال الثابت التى تبحث عنها · ذلك أن الأشياء المحسوسة ليست فى الحقيقة كائنات ، فليس لها شكل ثابت ولا بناء محدد ما دامت تظهر وتختفى دون أن توجد بتاتا · أما الجواهر المعقـولة فعلى العـكس من ذلك هى كائنـات حقيقية ، فلكل منهـا بناؤه وصورته (ايدوس) الثابتة المتميزة ، هى (ايد) أو (ايديا) هى المثل وهى ليست من تصورات النفس بل هى الحقائق الخالدة التى تضىء ومضاتها النفس كما يدعم كمالها النفس ويغذيها ·

فاذا كانت الحقيقة الحقة ، موضوع العلم ، مصـوغة من مثل هذه الجواهر الروحية ، ألا يحق للشـعراء اذن أن يقولوا انها بعيدة عن متناول الانسـان ؟ ·· انها من مملكة أخـرى هى فوق مسـتوى البشر وهى قدسـية · و لايفتـأ أفلاطون من موضـع لآخـر فى مؤلفـاته : من فيـدون الى

الجمهورية والى فدرس ومن فدرس الى تيمـاوس يعلن أن الحقائق الحقة جواهر مادية ، سرمدية قدسية لا يمكن أن يتأملها الا ذهن الهى فحسب • فماذا أفدنا اذن من وجودها ، وهل يمكن أن تقف رغبتا عند مجرد معرفتها فحسب •

٢ ـ الرؤيا السعيدة والوجود السابق

أخذ السؤال صورة أشد صرامة وأقوى شكلا ابتداء من محاورة مينون « كيف يمكن البحث عن المجهول ؟ » ـ ليس ذلك مجرد تلاعب بالألفاظ ـ فالبحث عن شيء ما يقتضى الماما بسيطا بموضوع البحث ويقتضى امكان افتراض غاية للبحث محددة الى درجة ما ، وبدون ذلك لا يمكن أن نتعرف موضوع البحث حتى لو وقفنا عليه عن طريق الصدفة •

أما رد سقراط ، فقد أصاب الكلمة المشهورة « لن تبحث ان كنت قد عثرت على موضوع البحث » اذ قال : « هذه المعجزة لا يفسرها الا الكهنة الروحيون والشعراء الالهيون ان كانوا مخلصين • فهم يذكرون فى تعاليمهم أن الروح خالدة وأنها لا تخرج من الحياة الا لتدخل فيها من جديد؛ لأنها لا تفنى على الاطلاق • وبذلك تكون قد أبصرت كل شيء سواء فى عالم الشهادة أو فى عالم الغيب، وما دامت قد وعت سالفا كل شيء ، فان ذكرى أولية تكفيها اليوم لتبعث فيها من جديد جميع الذكريات الأخرى » ، وتنبهنا محاورة فيدون الى أن هذه الاستعادة وذلك التذكر انما توقفنا على الصورة والظل فحسب ـ أما الحقيقة عينها ، فلا نحصل عليها الا ان عدنا روحا عارية قدسية متحللة من البدن • وعلى ذلك فالعلم الذى

منهجه البحث ما هو الا وسيط بين العلم الذى كان لدينا من قبل والعلم الذى سنحصل عليه فيما بعد • والمعرفة الانسانية ليست الا انتقالا بين نوعين من المعرفة احداهما عالية على البشر والأخرى الهية •

كيف نعبر عن هاتين الحالتين من التنوير السماوى ، حيث لا يوجد على الأرض ما يمكن أن يرشدنا اليهما ؟ •• وكيف نصور هاتين القمتين حيث تكون النفس عارية لا تجر فى أذيالها أى أثر لتلك الظلال البدنية التى نسميها صورا ؟ •• ـ عن طريق الشعر وعن طريق الأسطورة • ولنتذكر أن الشاعر هنا انما هو فيلسوف وصاحب عقيدة • فان جارى تأليفاته ، فانما يصدر ذلك عن بحث لا عن تخبط وهوى • فهو يثبت ، اعتمادا على تجربة لا يجحد أثرها واستدلال سيق فى تؤدة ، الحقائق بدلا من آن يتركها دون التعبير عنها ، يخلق بخياله ما ينوب عنها ويحل محلها رموزا يعرفها ثم يذكر لنا قيمة الاشارات وما تحمله من افتراض ايجابى ، ويذكر فى نفس الآن عدم كفاية الصور • ونجد ذكر الرؤية السعيدة السابقة على الحياة الراهنة ، تلك الرؤية التى ترد فى صيغة التأكيد غالبا وفى صيغة الاحتمال أبدا فى محاورة فيدون بوجه خاص •

كل ما هو روح يكون سرمديا • لأن حركة العالم تتطلب منبعا لا ينضب ، هذا ان كنا لا نسلم بأن العالم سيفنى فى لحظة معلومة • هذا المنبع لابد وأن يكون مبدءا سرمديا على الاطلاق ، لم يبدأ ولن يفنى • ومحرك من هذا النوع لا يمكن أن يكون جسما ـ لأن كل جسم يتلقى حركته من الخارج • فيكون اذن روحا ؛ لأن الروح تتحرك بنفسها وهى وحدها التى يمكن أن تكون منبعا تلقائيا للحركة لا ينضب •

وبذلك نثبت سرمدية الروح عن طريق استدلال قائم على ظاهرة الحركة الكونية الدائمة • أما شرح ماهية النفس وطبيعتها الدفينة فهو عمل طويل مضن • ولعل رمزا انسانيا يهبنا فكرة عنها فى سرعة •

لنتمثل اذن عربة يشدها جوادان ويقودها سائق وتكون الجياد والقادة بالنسبة للنفوس الالهية كلها من جنس طيب ، وتظل هذه النفوس محلقة فى المناطق السماوية دون جهد بأجنحتها القوية يغذيها على الدوام جوهر غير مادى هو الحكمة والجمال والخير ، وتسيطر من هناك على حركة الكواكب • وفى الطليعة يذهب زيوس سيد السموات المطلق فى عربته ذات الأجنحة يحكم الكون ويصرف أموره • وتتقدم من بعده مواكب الآلهة والشياطين فى احدى عشرة مجموعة • أما الهة هستيا ، الثانية عشرة ، فتبقى وحيدة فى بؤرتها • وأخيرا ، ومن خلف تلك النفوس التى لها الرغبة والسلطة ، تقوم النفوس الأخرى بهذه الجولة البديعة فى طيران يتفاوت شدة وضعفا • ترى قائدهم مشوقا لأن يرقى المنحدر العنيف الذى يصعد حتى يبلغ قمة القبة السماوية ، ولكن جيادهم ليست خالصة الدم • وعندما تبلغ النفوس الذروة تستمر ما تستحق منها لقب الخالدة ؛ حتى تصل الى خارج نطاق السماء وتستريح فوق « ظهر السماء » ، وتظل مرفوعة أثناء الدورة اليومية تتأمل فى هدوء المنظر الآخذ بالألباب •

لم يستطع شاعر حتى الآن ولن يستطيع أحد أن يصف ذلك المكان للسماء الوصف اللائق به • هنالك تعاين الآلهة والنفوس القدسية الحقيقة الحقة التى لا تقدم للتطلع لونا ولا شكلا ولا تقدم للمس سطحا محسوسا ، تلك هى وحدها

الحقيقة التى يتأملها العقل المحرك للنفس • وهى العدالة والحكمة والعلم ، ولا نعنى بالعلم ذلك الذى يتعلق بالأشياء الزائلة ولا ذلك الذى يتغير على الدوام تبعا للموضوعات المتبدلة التى نسميها كائنات . ولكنا نقصد العلم الذى يظل متعلقا بالحقيقة الثابتة •

ولكن النفوس جميعا لا تبصر مطلقا على هذا النحو من الكمال ، اذ تتعذر علينا قيادة دوابنا : فقد يكون أحد الجياد طيبا آصيلا ، فى حين آن الآخر يكون ردىء المولد شموسا • تحوز مثل هذه الروح فى الارتفاع ما يبلغه القائد ساعية اثر الآلهة عن كثب مجاوزة القمة الى ما يلى قبة السماء ، حيث تصل الى ادراك الجواهر الفاتنات • وهنالك تكدح طويلا لتحفظ نفسها ؛ لأن الجياد تجمح وتتمرد ولكنها مع ذلك تتأمل المنظر القدسى ما بقيت دورة السماوات • وقد لا تسعد روح أخرى بذلك المنظر الا لحظات متواترات • وتبذل غيرها مجهودات عبثا دون آن تحظى بمجاوزة قبة السماء فهو صراع يائس فى الزحام الصاخب للعربات التى تحاول الصعود فتنزلق وترتد وتقذف نحو الداخل • فتختلط الدواب بعضهن ببعض ويطرح بعضهن بعضا ، وتركض النفوس مدنسة الأطراف مهيضة الجناح • انه وايم الله ، الهبوط العميق الى آدنى المراتب حيث تنبسط الأرض التى نحيا عليها وها هى ذى النفوس الجرداء تغوص بأجنحتها فى اليم أرضى نسمه البدن •

وها هو ذا قانون ادراستيه : بقدر ما تكون رؤية النفوس غير تامة ومعرفتها مختلطة بالرجم والظن يكون هبوطها مسحوبة بأثقال النسيان • ثمة تسع مراتب لهبوط

النفس هى : فيلسوف محب للعلم او للجمال ، ملك عادل أو قائد جيش محنك ، سياسى أو حاكم ، رياضى من رجال الملاعب أو طبيب ، قديس أو كاهن صاحب أسرار ، شاعر أو مقلد آخر ، فنان أو عامل ، سفسطائى أو قائد شعبى ، ثم يأتى الطاغية فى المرتبة الأخيرة ، تلك هى المراحل التسع التى تحياها النفوس هبوطا أو صعودا تبعا لاستحقاقها فى اغترابها عشرة آلاف سنة قبل أن تسترجع أجنحتها وتستأنف تحليقها نحو الرؤى السماوية ٠ ويسترجع الفيلسوف وحده أجنحته فى العشرة الثالثة مادام قد حيا ثلاث مرات متعاقبات حياة الحكمة هذه ، فى تذكر واشتياق للحقائق التى سلف أن تأملها ٠

خيال خصب وبناء ضخم لفق فيهما أفلاطون بين آراء متباينة : فجامع بين فلك علماء ايطاليا وجولة الأورفيين والفيثاغوريين الصوفية وقولهم فى التناسخ ووصف انبادوقليس للخطيئة والخلاص فى حديثه عن التطهر وعجائب الشواهد التى يستدل منها المريدون على سبل الحق وآيات الصدق وأهل النعيم ٠ ولكن هذه الألوان المتعددة تأخذ فى الاختفاء رويدا رويدا خلف وشاح من التصوف الأفلاطونى ، حيث تكون الصيغة النهائية مصوغة على الدوام فى وضوح وذكاء وترو وتوقد روحى ٠ وهنالك حيث يعشق المريدون المآدب والتراقص المرح فى مروج برزيفون الخضراء أخذت النفوس الأفلاطونية تتأمل فى وضح الحقيقة الماهيات اللامادية ٠ وسينشأ عن تذكرها فيما يلى محاولة للتحليل والتركيب تخلق التعريفات العلمية ، كما ينشأ عنها الوجد الالهى الذى يسمو بالقلب عن مستوى الأهواء الأرضية الخائبة ٠

٣ ـ الرؤيا السعيدة والخلود

تتعرف النفس الفلسفية نفسـها بوجه خاص فى ذلك الوجد الالهى • ولما كانت سجينة داخل سياج البدن وتعرف أن ليس لها أن تهشمه فى عنف محافظة على وحـدة الرغبـة الالهيـة ، تظل محـاصرة بهـذه الرقابة الأرضية حتى يلذ لأسيادها أن يخلصوها • ولكنها تستحث منذ الآن يوما بعد يوم وساعة بعد أخرى وتتعجـل ما وسـعها ذلك لذة الآلهـة هذه ، وتعمل بقدر ما أوتيت من قوة فى افناء هـذا السور المادى والقضاء على ماديته • وما يتفلسـف الفيلسـوف الا ليمـوت وتقبض روحه ، فما حيـاته الا حنين حار للمـوت المنجى ، فقد علم من ولعه بالتفكير أن مملكته توجد فى مكان آخر وأن الحقائق التى تحياها لا تتعلق بعالم الشهادة هذا • تلك الحقائق التى لا يراها الآن الا بعيدة مشـوهة خـلال قضبان من حديد ، والتي سيصل الى معاينتها بمجرد تخلصه من بدنه • ذلك هـو الدرس الخالد الذى علمـه سـقراط أصدقاءه أثناء انتظاره للساعة التى تخلصه من أغلاله وذلك ما رواه أفلاطون عن « سر الفيلسوف » ووسمه «فيدون» •

وجدت على الدوام بجانب ديانة البلاط والأرستقراطيين التى تنقلها الينا عادة آشـعار هوميروس والتى لا ترى أن ثمة حياة آخرى للنفوس الا فى هذه الظلال الخائبة الحائرة الشاكية لدى « هادس » ، نقول وجدت الى جانب هـذا فى الديانة الشعبية عبادة خاصة توقف للأموات ولآلهة الأموات• كانت هذه العبادة متأثرة بمخاوف خرافية وهى انما تبجل الأموات أولا وقبل كل شىء لتبعد شرهم عن الأحياء • ولكن

الحياة في ديانة ديونيسوس ، التي تقرر أن الموت والبعث الالهي ما هما الا رمزان للمريد ، وعلى الأخص في ديانة الجمعيات السرية الأورفية والفيثاغورية ، أصبحت موضعا للاهتمام وللطقوس ولتعاليم خاصة بها ·

كانت هذه التعاليم في الواقع ، أشبه بالبيانات من المذاهب المحكمة · فالمريد الذي يعرف أنه من ديونيسوس ومن صلب تيتانس « ابن الأرض والسماء المنتثرة فيها النجوم » كانت له بطبيعة الحال امتيازات ضخمة على البشر الآخرين ، كما هو الحال في كل الجمعيات التي لها صفة سرية الى حد ما · ففي حين أن البشر العاديين يذهبون الى الحياة الثانية دون ارشاد ولا شفاعة ، تراهم يتخبطون في طخية (ظلمة) المستنقع العمياء ، يتعلم المريدون حينما يستوعبون الأسرار ، خفايا الطريق وكلمات السر والألقاب التي يستعينون بها أمام الملكة برزيفون · وقد تعلق عند الحاجة في رقبة المتوفى صفيحة من ذهب ، ملفوفة على شكل أسطوانة تحمل في كتابة دقيقة في أسطر مقفاة ارشادات عن الطريق والدعوات الصالحات · ولما كان المريد من سلالة الآلهة وكان طاهرا ومن جنس خالص، علم أنه سيجاور الآلهة وسيشاركهم في الجلوس على مائدتهم المتوجة بالورد · وكما يذكر أفلاطون في محاورة الجمهورية ، سيمضي وقته في مآدب صاخبة « كما لو كان خير جزاء على الفضيلة لا يمكن الا أن يكون سرا أبديا » ·

أما الصفاء الأخلاقي فلم يلق اليه بال ، كانت المسألة تتعلق بصفاء الجنس وصفاء الطقوس · ويصر أفلاطون على القول بأن ليس ثمة مذهب واضح حتى لدى أكثر هؤلاء

المبشرين تفقها فى الحياة المستقبلة ، فقابس وسيمياس اللذان أخذا عن فيلولاوس الفيثاغورى من مدينة طيبة ، يعترفان بأنهما لم يستخلصا منه أية معلومات محددة • والواقع أنهما يذكران فى وضوح أن البدن (سوما) رمس (سيما) ولكن دورة البعث تتكرر الى الأبد ، وبذلك تقلل من شأن فكرة الجزاء الى حد ما • كما أن الروح التى تتصور كرماد تحمله الرياح أو توافق أنغام ، كما يذهب أدق المفسرون لا تصلح كثيرا لأن تخلد •

مأذا عسى أفلاطون أن يفعل ؟ •• سينهل من مجموعة الأسرار الايليوزينية أو الأورفية ومن الصور المختلفة للخرافات الشعبية ومن رموز الفيثاغورية ومن طقوسها فى التطهر ومن وسائلها فى التقشف • وسيأخذ كفايته من كل الاتجاهات سواء من البيانات الكاملة أو من المناحى المشتتة ليستخلص أساطيره عن العالم العلوى ، وسيحول الرموز والطقوس والتعليمات الى أشياء معقولة والى مذهب أخلاقى وروحى •

٤ ــ أساطير الخلود

يطيب لأفلاطون ، فى الواقع أن يتخيل العالم العلوى ، وأن يصور لنا السبل المؤدية اليه أو الواردة منه ، والمحاكم المنصوبة والأحكام التى تصدر فيها ، والأصقاع الرائعة أو المروعة التى ستصبح مآلا لمصائرنا المستقبلة •

أما أسطورة جورجياس الختامية ، فلا تخرج عن أن تكون أيضا خرافة قصيرة عليها تعليق مفصل • حدث أيام كرونوس

وفي أوائل حكم زيوس آن قوضى البشر آحياء • فحضر فلوطون ومراقبو الجزائر السعيدة رافعين الى زيوس شكواهم أن قد آرسل اليهم اناس غير لائقين اطلاقا لمثل هذه الاقامة • فقد كان جمال البدن وألقاب العائلة وأشروات الطائلة تعمى القضاء عن وضاعة النفوس • فقضى زيوس بنظام حكيم أصبحت النفوس كلها بمقتضاه تحاكم منذ ذلك الحين وهى عارية تماما ، فلئن كانت الجثة تحتفظ بكل ما للبدن الحى من جروح وآثار عميقة ؛ فان النفس كذلك وقد آزيح عنها غطاؤها تكشف عما فيها من قروح واعوجاج وأورام ، تلك الآثار التى سببها الظلم على مر الأيام • فان كانت لا زالت قابلة للشفاء كفرت عن خطاياها فى عذاب وقتى ؛ لأن التعذيب وحده كاف للتطهير • وان لم تكن ، فقد كتب عليها العذاب الأبدى لتكون تحذرة وعبرة للآخرين •

وتصور لنا محاورة فيدون النفوس بعد مماتها مباشرة يقود كلا منها شيطانها الى مكان الحشر ثم تسعى فى جماعات يقودها مرشد فرد لا يتغير أبدا فى مسالك معقدة شاقة تنتهى الى حيث هادس • وتجمح بعض النفوس اذ تجذبها الى الوراء ذكرى الجسد الذى طالما تدلهت فى حبه فيعانى الجنى الشىء الكثير حتى يفلح أخيرا فى ايصالها الى حيث مصيرها النهائى : الى جحيم أليم أو الى نعيم مقيم • أما الجحيم فهاوية بعيدة الغور فى أسفل الأرضين تمتد فى جوف الأرض من جانب الى جانب • أما النعيم المقيم فسطح الأرض نفسه •

اننا نزيد فى الواقع من ابتئاس أنفسنا عن طريق ضلال مزر • فنتوهم أنا نسكن سطح الأرض ، فى حين أننا لا نقطن الا قشرة ضعيفة انشقت عن هذا السطح • ان الأرض كرة

عظيمة الكبر تسبح فى محيط آثيرى ويبدو هـذا الآثير لمن يعيشون على سطح الأرض سماء فيها شـمس حقـة تضىء لهم • لنستعض عن ذلك بتصوير بحيرة يعيش عـلى ساحلها نمل وضفادع ، فان مثل هـذه البحيرة أو المسـتنقع تبـدو بالنسبة لغيرها بحـرا عظيمـا • وما نحن الا حشرات دنيئة تحيا على هذه الشواطىء تتخذ من الهواء سماء لها وترى فيما تتوهمه من سماء ، صورة خافتة للشمس الحقيقية • ولـكن السعداء يسكنون الأرض الحقيقية ، حيث الألوان صـافية والذهب والفضة خالصان والأحجـار من زمرد وزبرجـد ، وحيث تكون الحيوانات والنباتات أكثر تنوعا وأفضل نوعا ، لا تسكن المعـابد تماثيل صـماء بل آلهة أحيـاء يحادثهم السعداء ويتأملونهم وجها لوجه •

ويروى لنا الكتاب العاشر من الجمهورية أن ارالفمفلياني ابن ارمنيوس الذى كان قد حسب فى عـداد المـوتى عشرة أيام خلت من معركة ما ، أفاق فى اليـوم الثانى عشر حـين وضع على المحرق ، فأخذ يذكر ما شاهده •

حينما غادرته نفسه ، ذهب اثر النفوس الأخرى الى حيث توجد ثغرتان فى السـماء مقابلتان لثغرتين مثلهمـا عـلى الأرض • وقد أخذ القضاة مجلسـهم بين هـذه الثغرات • وترحل النفوس التى يقضى فى أمرها اما نحو السماء أو الى أسفل الأرض تحمل من قبل (بضم القاف والباء) أو من دبر (بضم الدال والباء) كتابها ، الذى يقضى فيها بالشقاء أو السعادة • وتصعد من الأرض من جهة أخرى نفوس غطاها التراب أو الوحل وتهبط من السماء نفـوس أخـرى تامة النقاء • ويلتئم جمعها فى المروج حيث يتسقطن الحـديث

فيما مر بهن من أحداث ، فتروى بعضهن ما عانت من آلام أو ما رأت من عذاب فى رحلتها خلال ألف عام تحت سطح الأرض ، وتقص بعضهن ما تذوقته من سعادة وما تأملته من روائع • انهن يجازين على ما قدمت أيديهن من خير أو من شر بأن يضاعف لهن الثواب أو العقاب • وبعد انقضاء هذا الشقاء ، ترغب النفوس الصاعدة من الأرض فى النفوذ الى سطحها فلا تكاد نفوس المجرمين الخطرين ونفوس الطغاة بوجه خاص تدنو من الهواء الخالص ، حتى تهدر الهاوية هديرا مروعا مخيفا ــ وسرعان ما يقبل رجال من نار كانوا رابضين على مقربة من المكان فيجذبونهن الى الوراء ويقذفون بهن فى الداخل •

وبعد أن تمضى النفوس سبعة أيام تتسقط الحديث على هذا النحو فى هذه المروج ، توجه نحو عمود النور الذى تشد اليه روابط السماء • حيث تتربع الهات المصير الثلاث : لاخيزيس وكلوتوس وأترويوس ، بنات الضرورة • وعلى ركبتى لاخيزيس يجلس كاتم سر ايلوزيس ممسكا بالمصائر ثم يقذف بها فى الهواء فتأخذ كل نفس ما وقع أمامها من مصير ، وهى على يقين من اللحظة التى سيترك لها فيها الخيار وذلك هو اختيار نوع الحياة ــ برهان قاطع لم تعد له العدة فى الحياة الدنيا بمقارنة الأحوال الانسانية فى دقة بالكشف عن قيمتها الحقيقية • وحين تختار النفوس مصائرها ترحل وتجتاز سهل النسيان القاحل (ليتيه) وتتوقف قريبا من نهر الغفلة (اميليس) حيث تغط فى نوم عميق • ولكنها تستيقظ فزعة فى منتصف الليل من هزيم الرعد ، وتزلزل الأرض ، وتجرف النفوس فى الحال ، كالشهب الساقطة ، نحو الأماكن التى تتقمص فيها جسدا جديدا •

٥ ــ البراهين العقليــة

ولكن ألا يخرج الخلود عن كونه خرافة أو عــلى الأكثر أمنية عميقة عذبة ؟ ٠٠ ــ يبذل سقراط قصارى جهده فى فيدون ليقيمه على حجج مقنعة ٠

ألا يفترض هــذا التــذكر وذلك الاسترجاع للمعرفة السابقة ، التى تستطيع وحدها أن تفسر نزوعنا نحو العلم ونحو امكانية هذا العلم فى نفس الآن ، أن روحنــا قد حيت حيــاة قدسية نقيــة قبــل أن تتقمص البــدن والأعضــاء الحاسة ؟ ــ أليس وجود النفس السابق ، له فى هذه الحالة أيضا من اليقين الذى لا يتطرق اليه الشــك مثــل ما لوجود الجميل والخير والعادل والمساوى والحقائق المعقــولة كلهــا التى تؤيدها استدلالاتنا اليومية ؟ ٠٠ ــ غير أنا قد نقابل من المجادلين العنيدين أمثال قابس من يقول : « مع التسليم جدلا بأن النفس وجدت قبل مولدنا ، فما الذى يدلنا على أنها لا تموت معنا ؟ » وقد يتأثر الحدث الذى يوجد بيننا بتلك الأوهام التى تغــذى القصص الشــعبى ــ فيخشى أن تتشتت النفس كالدخان حين تهب الريح ، عندما تخرج من الجسم الذى يسجنها والذى يلم شعثها ٠ لذلك يجب أن نثبت خلود النفس ببراهين مباشرة ٠

وأول برهان معروف على بساطة النفس هو الذى يذهب فيه أفلاطون الى « مشابهته النفس للحقائق المعقولة » ٠ وكل ما فعله فى هذا البرهان هو أنه سبق ديكارت الى القول ، على طريقته الخاصة ، بأن جوهر النفس هو التفكير ٠

وطالما كانت النفس مرتبطة بالجسم وأعضائه ، فانها تظل أسيرة فى معترك الأصوات والأضواء والملذات والانفعالات الحادة السريعة التى نسميها الأشياء • ويطغى عليها اضطراب هذه الأشياء فتخبو وتتشتت ولا تهتدى أبدا• ولا تلتئم ولا تعود الى جوهرها الا اذا تعلقت بالحقائق المعقولة وبموضوعاتها المجردة اللامادية على الاطلاق والتى لا تخضع للصيرورة أبدا ، وذلك هو التفكير • فالنفس هى اذن تفكير بالذات ، وعاكس صاف لجواهر صافية وهى صورة للمثل ومرآة لها • فالنفس اذن شبيهة بالحقائق المعقولة على قدر الامكان؛ لأن الحقائق المعقولة تكون شفافة تماما أمام التفكير السليم • والتفكير السليم ، على وجه الاطلاق ، ليس الا شفوفها عينه •

وبذلك تكون النفس ، التى تحاول الهروب من البدن بل والتى تعكف داخل الجسم على فكرها لكى تمتلك نفسها قدر المستطاع ، هى من نفس نسق الذهن الخالص وموضوعاته وان كانت لا تطابق الحقائق المعقولة مطابقة تامة ، فانها شديدة القرب منها • فمن اذن يعتقد أن هذه الماهيات القدسية اللامادية البسيطة اللامتغيرة ، قابلة لأن تنحل وتتلاشى ؟ ــ ففى حين أن الجسم ، مع العلم بأنه قابل للانحلال الى حد كبير يحتفظ بهيئته وشكله بعد الموت لمدة طويلة ، وأن الأجزاء الصلبة من مادته تبقى مددا غير محدودة تقريبا ، فمنذا الذى يقبل التسليم بأن النفس ، ذلك الفكر البسيط اللامادى كما هو حال موضوعاتها ، يمكن أن تتشتت أو تتلاشى بمجرد الموت ؟

وهكذا ، فالنفس متميزة تماما عن الجسم كما يمكن أن تحيا بدونه· ولكن أليست أنغام الناى كذلك متميزة عنه ؟ · · لتكن غير مرئية قدسية لا جسمية ولكنها مع ذلك ليست الا الامتثار الواجب للأوتار الجسدية ، فهى تتبلاشى اذن بمجرد تقطع هذه الأوتار · ويرد سقراط على هذا الاعتراض مذكرا ببراهينه السابقة فيقول : ان توافق الأنغام لا يوجد وجودا سابقا على وجود الناى، وقد رأينا، عن طريق التذكر، أن النفس تسبق الجسم فى الوجود · ولنلاحظ ، بهذه المناسبة ، أن العقلية القديمة كانت تنظر الى هذا السبق فى الوجود باعتباره بديلا عن الخلق، بل اعتبرته البديل الوحيد الذى يمكن أن يقوم مقام الخلق · بيد أن هناك أسبابا أخرى تعترض القول بأن النفس تقتصر على كونها مجرد انسجام·

فالانسجام والتوافق انما هو حاصل أشياء أخرى : اذ يعتمد فى كل لحظة وبكل معانيه على التوتر والارتخاء والذبذبات · فلا يمكنه اذن أن يقاوم هذه الأشياء على أى نحو من الأنحاء بل انه ضعيف التدبير لها · ولكن النفس تدبر وتسيطر على حركات الجسم ، وتقاوم شهواتها وغضبها ومخاوفها · فهى حقيقة « فكر مدبر » · وأخيرا ، فانها لا تحل البدن الا وتهبه الحياة · فاذا ما غاصت فى سيال الصيرورة بدت غريبة عنه بطبيعتها · اذ لما كانت من فصيلة الماهيات اللامتغيرة كانت ماهيتها ترجع الى ماهية الحياة نفسها وتحملها معها · ومن الممكن أن يصل الموت الى ما يحيط بها ، أعنى الى الجسم الذى وهبته قوتها الحيوية الى حد ما ، ولكن النفس وهى نواة ماهية الحياة لا تذوق الموت ·

٦ ـ التجلى الروحى

لعل تشابه النفس بالحقائق المعقولة يكون الدليل القوى على خلودها ، بل لعلنا نصيب الحقيقة ان قلنا انه الدليل الكافى والوحيد على خلودها . وهذا التشابه أيضا هو الذى يزيل ما يعترى الادعاءات والاتجاهات الصوفية السابقة من اضطراب كبير أو قليل ويطبعها بطابع روحى .

لقد سخر هرقليطس من أتباع باخوس ومن اصحاب الطرائق الآخرين الذين عاشوا فى عصره ، كما سخر من تطهرهم من شواتب المادة . ويشكو اغلوقون ، فى الكتاب الثانى من الجمهورية ، من الشكوى من الطرائق والمذاهب التى تشوه فكرة العدالة والتى تسلب الديانة كل نزعة أخلاقية وتحيلها الى تجارة وسحر . ولم يكن أقل ازدراء لهؤلاء القسيسين الجائلين الذين يتنقلون من باب الى آخر يبيعون صكوك الغفران او الرقى السحرية حسب الحاجة . والذين يدعون تخليص الأموات والأحياء من خطاياهم بمجرد هذه الطلاسم . ولقد بذل أفلاطون جهدا محسوسا فى تجديد محتويات هذا التطهير الذى سارت وراءه الأسرار والشيع فى لهفة شديدة والذى شوهته هذه تشويها شديدا فى نفس الآن . وكان هذا التطهير لدى أفلاطون تعذيبا للتفكير عن الخطايا متقبلا فى ارتياح . وعودا اراديا الى العدالة وفرارا من العالم وشوقا الى الموت وتشبها بالآلهة . لقد قيل فى كثير من الأحيان ان فلسفته تصوف فى بعض نواحيها ، والأجدى أن يقال ، ما أراده هو وما ذكره بنفسه آن التصوف قد صار فلسفة فى مذهبه .

ربطت فكرة العدالة هذا التصوف ربطا قويا بتجارب أفلاطون المضنية وبما كان يشغله من مسائل سياسية • فأشد المجرمين خطرا وأكثر الناس استحقاقا للتعذيب هم الحاكمون بأمرهم والطغاة ، كما يرد ذلك على الدوام فى جورجياس وفيدون والجمهورية وكما يرد بعد ذلك فى تيماوس • وقد كان القول بالواحد الضرورى هو النتيجة التى لم تتغير تقريبا والتى انتهت اليها كل هذه التصويرات للعالم الآخر، فسقراط يحث خاليقليس على انتظار الحكم الوحيد ذى القيمة ، ويعلم أغلوقون اهمال جميع العلوم الأخرى من أجل تحصيل ذلك العلم الذى يهيؤنا لأن نحسن اختيار ما ينتظرنا من مصير • وسواء أقضينا الحياة فوق قمم السلطان الخطرة أم قضيناها فى الظلام ، فان الحياة الأرضية ليس لها اذن من اعتبار الا أن تنير لنا الحياة المستقبلة ــ فهى برهان وتجربة فى وقت واحد •

تجربة للموت ، ويقول سقراط : « التفلسف هو التهيؤ للموت » فالجسم فى الواقع ليس الا ظلمة كثيفة تحجب عنا الحقائق المعقولة • وثمة أساس عقلى للأقاصيص المغرقة فى الخيال التى تتناول سقوط النفوس ، وهو أننا نحن الذين نربط أنفسنا بالبدن وهذا هو التعلق الشديد برغبات البدن وملاذه والخضوع لأوامره • والواقع أن النفوس التى يتخيلها الشعبيون هائمة متوجعة حول المقابر ، هى التى تعشقت البدن وظلت متعلقة به تعلقا شديدا ، وما التجسد الا عقوبة ونتيجة طبيعية للشهوات الحسية •

ان مجاهدة الجسم والعزوف عن الدنيا ليسا قعودا فى توان عن الجهد الأخلاقى • « فالفرار من العالم » كما يخبرنا

سقراط فى صيغة ابتدائية هو «التشبه قدر المستطاع بالاله» ولكنا نجد لدى مريدىالأسرار المختلفة طرائق متعددةللتشبه بآلهتهم ـ فان لم يصلوا فى كل الأحيان الى حد الشذوذ الأخلاقى الذى يسمهم به آباء الكنيسة فانهم يستمسكون عادة بأباطيل ساذجة شنيعة ٠ « أما التشبه بالآلهة » ، كما يعرفه سقراط فيما بعد ذلك بقليل ، « فهو أن تصير عادلا تقيا أمام نفسك » وتوجد هذه التعريفات فى محاورة تيتاوس ، التى ألفت اما قبل رحلة صقلية أو بعدها بقليل ٠ ومع ذلك، فانا نرى أن جزءا كبيرا من محاورة فيدون وبعض صفحات الجمهورية ليست الا شروحا عليها ٠ والمحاورة الأخيرة وهى محاورة القوانين تعيد ذكر هذه التعريفات فى وضوح ٠ وتبدل فيدون من دلالة الكلمة المشهورة « كثيرون أولئك الذين يحملون تيرس « عصابة باخوس » قليلون هم أتباع باخوس » فتتذكر لنا المحاورة أن أتباع باخوس هم الفلاسفة ٠ وهم دون غيرهم الذين يزاولون التطهر بمعناه الصحيح ٠ ان نفسهم تدبر عن كل رغبة أو فكرة أرضية ، ولا يغذيها الا مرعى قدسى هو الحقيقة المعقولة ، فان حضر الموت «رحلت توا الى قرينها وشبيهها ، وما دامت قد تقومت بجوهر قدسى، فكيف يمكن أن نخشى الانحلال والهلاك ؟ ٠٠ » ٠

العلم الانسانى

١ ـ الاحساس والفكر

يقع التذكر بين الرؤيين السعيدتين . ويبعثه الاحساس والحب الذى يرقى بالتدريج حتى يصل الى أعلى درجات القداسة ·

ان ثمة ميلا وعجزا فى آن واحد فى الموضوعات التى توقفنا عليها التجربة اليومية · فقطعتان من الخشب تبدوان متساويتين لأول وهلة · ولعلهما تكونان كذلك بالنسبة الى قياس غير محكم ؛ ولكنهما ليستا كذلك على الاطلاق فى الحقيقة العلمية · ويقول آفلاطون : انهما ترغبان فى ذلك وتتوقان اليه ، ولكنهما لن تدركاه ، ففكرة المساواة الصحيحة التى يوحى بها الينا مجهودهما تستخدم فى قياس عجزهما كذلك · ويعارض بروتاجوراس الهندسيين فى وجود مماس فى الطبيعة يماس الدائرة فى نقطة واحدة بالذات · وانه لعلى حق ، اذ لا توجد فى الطبيعة دائرة ولا توجد كذلك زاوية قائمة تماما ·

وان أفلاطون نفسه ليسخر فى رفق من لغة الرياضيين الذين يتمسكون بها رغما عنهم · فهم يتحدثون عن التربيع

والامتداد أو عن القسمة والرفع والخفض ، ثما لو كان استدلالهم يعتمد حقيقة على الشكل الذى يرسمونه تأييدا لهذا الاستدلال . ومع ذلك ؛ فهم يعلمون علم اليقين أن هذا الشكل يكون ناقصا وباطلا على الدوام . وقد أوقفتهم التجربة على شيء هو « محاولة » لأن يكون دائرة . فهم يرسمون بدورهم أو بالأحرى يؤلفون ، باستخدام كل دقة فى الميكانيكا العلمية ، شيئا يصحح ويقضى فى حدود المستطاع على ذلك التقريب الذى يوجد فى الطبيعة . ولكنهم لا يقولون ولا يعتقدون مطلقا أن هذا الشيء الملاحظ ، أو المرسوم ، أو المؤلف هو دائرة كاملة من جميع الوجوه وأن له كل خصائص الدائرة . فليس للدائرة وجود الا فى تفكيرهم باعتبارها شيئا متطلبا . ويقول أفلاطون انها وجدت فى تفكيرهم على الدوام ولكن على هيئة فكرة كامنة . فالاحساس الذى يوحى بفكرة ما لا يخلقها انما يوقظها فى النفس فقط . وهذا الايقاظ هو التذكر .

حفظ هذا الايحاء ، والشعور بما يتضمنه من نداء ، والاذعان له بالتدرج من المعنى الموحى الى الماهية السرمدية الكاملة الذى هو نسخة منها ، ذلك ما يفعله « الجدل » . ويصور الكتاب السابع من الجمهورية هذا التصاعد المنهجى من المحسوس الى المعقول أعنى الى الفكرة أو المثال .

٢ ـ الكهف

أخذ أفلاطون يستعيد ذكريات الصبا . فكان مسرح الصور المتحركة من أكثر المناظر فتنة له فى هذا العهد ،

حيث تضطرب وتثرثر لعب لطيفة على حاجز يخفى وراءه من يمارس تحريكها ، فيأخذ الطفل الذى لا يرى العامل أو الخيوط ، فى متابعة هذا الخداع فى شوق زائد • كانت هذه اللعب ورغاؤها وتشاحنها وانفعالها فى شدة أو لين والحوادث الغريبة التى تتخلل حياتها القصيرة بالنسبة الى أفلاطون خلال ساعة أو ساعتين هى العالم الواقعى • لنتخيل أن نارا أوقدت خلف العامل وخلف اللعب وطلب من النظارة أن يجعلوا ظهورهم الى الحاجز ثم أسدل ستار يشخصون اليه • بذلك نحصل على صور متحركة فى شكل ظلال تسقط على الستار • هذا ، وقد استخرج أفلاطون من هذه المناظر المتواضعة رمزا له دلالة عظيمة •

لنتمثل أناسا مسجونين فى كهف لا يسعهم الا النظر الى داخل هذا السجن ؛ لأن رقابهم وسوقهم قد كبلت بسلاسل ثقيلة ، وقد أداروا ظهورهم للضوء الذى ينسل خالصا الى الداخل عن طريق الجزء الأعلى من فتحة متسعة يقوم من خلفها جدار يرتفع حتى يحجب منتصف الفتحة « ويشبه هذا الجدار الحواجز التى يضعها عمال الصور المتحركة بينهم وبين النظارة » ، ويوجد طريق من خلف هذا الجدار يصعد الى أعلى ، حيث يذهب اناس ويجيئون يتحادثون فيما بينهم أغلب الأحيان ويحملون على أكتافهم تماثيل صغيرة بحيث تبرز التماثيل وحدها من فوق الجدار • وهناك وعلى بعد قليل خلف الطريق أوقدت نار أضاءت التماثيل وألقت بظلالها الى قاع الكهف • فلن يبصر المساجين بطبيعة الحال الا هذه الأشباح ولن يترامى الى أسماعهم الا أصداء هذه الأصوات • ولما كانوا قد أوثقوا بالسلاسل منذ طفولتهم ولم يروا قط غير هذا المنظر، فانهم يعتقدون أن هذه الأشباح هى

التي تتحدث وهى التى تحيا ، هى بالنسبة اليهم العالم وحقائقه ووعوده وملاذه ومتاعبه ٠

فاذا أطلقنا أحد هؤلاء المساجين وأرغمناه على الوقوف وعلى أن يدير رأسه وأن يتطلع الى الضوء المنبعث من النار أو أن يشاهد التماثيل التى تمر أعلى الجدار ٠ حينئذ وقد انبهرت عيناه فسوف يعتقد أنه لا يرى الا أشباحا تتراقص ويود لو عاد الى رؤاه داخل الكهف ليحصل على الحقائق من جديد ٠ لننتزعه من الكهف الذى يعيش فيه ، ولنجذبه على الصراط حتى يصل الى ضوء النهار التام ، ولندفعه الى أن يشخص بعينيه نحو الشمس ٠ سيتحسر ويزأر من الغيظ ، لقد آذته الصدمة ايذاء عميقا ، فلم يتمكن من أن يميز شيئا على الاطلاق مما نسميه موجودات وكائنات ٠

انه فى حاجة الى تعلم تدريجى لكى يستعيد النظر الى الحقيقة والاحساس بها ٠ فنبدأ بمواجهته بأشباح الاناس وأشباح الأشياء الأخرى ثم نواجهه بصورها منعكسة على سطح الماء أو على مرايا ثم نواجهه أخيرا بالكائنات أنفسها ٠ ثم نجعله يألف فى رفق ضوء القمر ولألاء النجوم ، ولن نجعله يشخص الى الشمس عينها ، هنالك حيث توجد وبالكيف الذى عليه توجد ٠ سيدرك آنئذ أن الشمس تحدث الفصول والأعوام ، وأنها تهيمن على كل شىء فى عالم الشهادة ، بل وأنها العلة الأخيرة لتلك المناظر التى كانت تتزاحم بداخل الكهف ٠

أعجب بحكمه الآن على قيمة هذه الأشباح التى تسكن باطن الأرض ـ كانت فيما مضى حقائق لها قيمتها ٠ كان

اقتناصها فى سرعة أثناء عبورها وتذكر زمانهــا ومكانهــا والنظام الذى اعتادت أن تظهر عليه ومن ثم القدرة على التنبؤ بالوقت الذى ستظهر فيه من جديد ـ كان هــذا هــو العلم ٠ فما أكثر بطلان هذا العلم وبطلان كل مفخرة تصدر عنــه ! لينزل مرة أخرى الى الكهف وليعد الى مقــامه من الأصفاد ثم ليتطلع ٠ سوف يعجز أول الأمر عن تمييز شىء ما فى هــذه الظلمات ٠ ولكنه ســيتعرف عليهــا ثانيــا بمرور الزمن ، وسيعرف هذه المرة أنها أشباح ٠ أية سخرية وأية ضــحكات عاليــة تلك التى يستقبله بهــا العبيد من رفاقه ان حاول أن يشرح لهم حالهم ! ألم يفقد بصره فى الخارج ؟ ٠٠ ليبتعد عن كل محاولة من شأنها أن ترجعهم الى الصواب أو تخلصهم من الذل أو تعيدهم الى النور والى الحقيقة ، فقد يمسكون به ان تمكنوا ويزهقوا روحه ٠

لنعد من التصوير الى الواقع ٠ فالــكهف الذى فى باطن الارض هو عالمنا المحسوس ، والنار التى تلقى بالأشباح هى الشمس التى تضىء لنا ، والصعود الى الخارج هو ترقى النفس نحو العالم المعقول حيث تضىء الشمس الحقيقيــة ، مثــال الخير ٠ ولن يمكننا تحمل لمعانها قبل أن ندعم النظر العقلى بدراسة منهجية ، فان وصلت أخيرا الى تأملها والى تحـديد صفحتها المتوهجة بعد لأى حينئذ نقدر أنها علة كل خير وكل جمال ٠ لا ينبعث الضوء وأشعته القوية فى عالم الشهادة هذا الا عنها ٠ وانها لتخلق الحقيقة والعقل الذى يتأملها معا فى العالم المعقول ٠ ولن يرجى نفع من شىء فى الحياة العامة أو الخاصــة ، ولن يكون أمر ما ســديدا اذا لم يحصــل تحت ضوئها ٠

فليس ثمة من داع اذن للدهشة بعد أن نرى هؤلاء الذين تأملوها مرة قد تملكتهم الحيرة والذهول · فهم يتوقون اليها وان تكاثرت عليهم المشاغل فلا يشاركون فى هذا العالم الا كرها وازورارا · أرأيت اليهم كيف يثيرون الهزو والشفقة فى نفس الآن ، حينما يضطرون أمام المحكمة الى مهاجمة تلك الأشباح التى يسميها الناس أشياء ووقائع ! ولكن لنذكر على الدوام ان ثمة صنفين من العميان : أولئك الذين عاشوا فى الظلام وفى الليل فيعشو الضوء ابصارهم ، وأولئك الذين ألفوا نور الحقيقة فيتحسسون طريقهم فى الظلام ·

٣ ـ مهمة العلوم الرياضية

يحتفظ الناس عادة بفكرة خاطئة تماما عن التعليم · فيتوهمون أنه عبارة عن ادراج علم تام التجهز فى النفس الجاهلة كما لو أمكن أن توهب الأعين الكليلة الابصار · ولكن التعليم لا يخلق آلة التعلم ، وكل ما يفعله هو تخليصها من الشوائب وتوجيهها · على أن النظر الروحى لا يمكن ان يوجه دون توجيه كل قوى النفس ، اذ لابد وأن تتجه النفس بكليتها نحو الحقيقة ·

ولكن النفس تدرك فى الأشياء تجانسا مضطربا متقطعا وتوافقا جزئيا يفزعها ما فيه من شذوذ · ولعل الاستجابة لتلك الدعوات القدسية وانتظام عقدها فى أنشودة تأخذ أبياتها فى الاتساع رويدا رويدا حتى تبلغ بنا أقصى حد من التوافق السرمدى ، تكون فى العلوم الرياضية · والواقع ،

ان أفلاطون يعتبرها التمهيد الذى لا محيص عنه فى دراسة الحقائق المعقولة •

ليس ثمة من شيء لا تدلنا الحواس على أنه كبير وصغير، واحد ومتعدد ، بسيط ومنقسم الى ما لا نهاية ، تبعا للأحوال والمناسبات • ولكن مثل هذه التناقضات تنبه الذهن ، فيرتفع حينئذ الى تعريف يتجاوزها ويسمو عليها فيتصور الوحدة المجردة وسلسلة الأعداد ، وهكذا تتفتح أمامه المشاكل الحسابية التى لا تنتهى • ويتصور العظم المجرد فضلا عن الخطوط والسطوح المنظورة ويتخيل التأليفات الهندسية المثالية • كانت هذه العلوم قد تقدمت هناك تقدما كبيرا فى اللحظة التى أسس فيها أفلاطون الأكاديمية ، ولا يمكن أن نشك فى أنه حينما عاد من زيارة ارخيتاس لم يكن قد مال بعد الى أن يجعل للعلوم الرياضية جزءا مهما من منهج الدراسة • هذا ، الى أن « مدرسته » كانت تحدوها روح حرية الفكر • وكل ما كان يدرسه أفلاطون هو ارشاد وتوجيه عام • ويذكر لنا بنفسه أنه لكى نعمل على تقدم أعمال المتخصصين وعلى التوفيق بينها ، لابد من وجود ملاحظة شاملة غير متحاملة ونظرة تعرف ادراك الأجزاء فى مجموعها، أى عينا اجمالية •

كانت لأفلاطون هذه العين الاجمالية وذلك الحب الجامع، فشكا مر الشكوى من قصور الدول عن تشجيع أبحاث العلماء وتوجيهها • فما أكبر التقدم الذى يستطيع الانسان الظفر به بوساطة تلك المجهودات المنسقة على هذا النحو ؛ لأن هذه الدراسات مهما يكن من أمر احتقارها وعرقلتها ، فانها مع ذلك تأسر أصحاب القلوب ، ولطالما تقدم بها هؤلاء ! ألم

يكن يوجد علم دقيق حتى بات سقراط فى المحاورات يشكو من عدم تأليفه بعد ؟ وماذا يكون هذا العلم على وجه الدقة ، فى اللحظة التى حرر فيها أفلاطون الكتاب السابع من الجمهورية ؟ .. كان قد فرغ فى تلك اللحظة من اكتشاف هذا العلم « أستاذ » شاب من أساتذة الأكاديمية هو تيتاوس، أفضل تلاميذ تيودوروس من سرينيا. سار تيتاوس باكتشاف أستاذه القديم فيما يختص بالكميات اللامتوالية شوطا بعيدا فى سبيل التقدم ، وتمكن من اعادة الحلقة المفقودة بين الهندسة أو علم السطوح وبين الفلك أو علم الأجرام المتحركة وهذه الرابطة هى الاستريومترى أو علم الحجوم .

فاذا أضفنا الى هذه العلوم الأربعة ، الحساب والهندسة وعلم الحجوم والفلك والموسيقى المنتظمة أو علم التوافق ، حصلنا على سلسلة من التعاليم العلمية كما كانت تدرس فى الأكاديمية . وقد رغب أفلاطون فى شوق فى أن ينهض بالعلوم الرياضية . ونعلم علم اليقين أنه ساعد بوجه أخص فى وضع المسائل وفى اكتشاف المناهج العلمية . وقد تخرج فى هذه الجامعة الأولى بعد تيتاوس المخترعون أو أصحاب العلوم الدارجة أمثال : ليون وأيدوكس ومنيخم وغيرهم كثيرون ، وسبق ليون ، اقليدس الشهير ، فى تحرير رسالة « العناصر » بل ونجد فى رسائل اقليدس نفسها أن الكتاب الخامس من تأليف ايدوكس والعاشر من تأليف تيتاوس . وظل أثر أفلاطون ملموسا حتى عهد ازدهار الرياضيين الاسكندريين فى القرن الثالث للميلاد .

أما الرياضيات ، فلا تؤدى بنا رغم هذا الا الى عتبة المعقول . وان كان موضوعها هو الماهيات اللامادية ، الا أنها

مضطرة على الدوام الى تأييد موضوعها بأشكال محسوسة • وهى تبدأ من مبادىء تسميها تعاريف أو بديهيات أو مسلمات؛ ولكنها فى حكم أفلاطون تسلم فى الواقع بكل شىء؛ لأنها لا تتمهل حتى تستخرجها من مبادىء أشمل وأعم • وتتدرج « العلوم الرياضية » عن طريق هذه الفروض الابتدائية من مقدمة الى ما يلزم عنها حتى تنتهى الى نتائج تتزايد فى التعقيد •

وبدلا من ان يتوقف الفيلسوف عند هذه الدرجة الوسطى يتخذ منها معينا يتأدى به الى مراحل أخرى، فيرقى من هذه المبادىء التى تسلم بها الرياضيات فى يسر ، الى الماهيات العقلية الخالصة عن طريق الفكر المحض ودون استخدام أى شكل من الأشكال • وأخيرا يتأدى درجة درجة الى المبدأ الذى صدرت عنه والذى هو مصدر لنفسه : أعنى مثال الخير • وهكذا ، يتأمل شمس كون المعقولات كما تأمل السجين المتخلص من الكهف شمس الكون • فيدرك أن مثال الخير هو مصدر النور والوجود معا لكل الحقائق فى هذا العالم • ولا تصدر عن هذه النار السامية العلوم بأجمعها فحسب، بل تصدر عنها كذلك كل الماهيات الروحية ، ولما كانت هذه النار هى الحاصل الضوئى لكل حقيقة فهى اذن « تفوق كل حقيقة أخرى وكل نور آخر قدرة وفضلا » •

٤ ـ الحب الفلسفى

ان الذى يعين النفس على هذا التصاعد الطويل هو ما يطلق عليه المحدثون اسم الروح العلمية أحيانا واسم الروح

الصوفية فى أحيان آخرى : شيئان بذلوا قصارى جهدهم فى التمييز بينهما وفى مقابلة الواحد منهما بالآخر ووحد بينهما أفلاطون تحت اسم جذاب هو « الحب » ٠

قدم الحب الأفلاطونى مبحثا سهلا غير أنه كان متنوعا أيضا ، للقصاصين الذين يستغلون ما فى باطن التاريخ العام من ابهام ٠ ومما يؤاخذ عليه النقد الدقيق فى أيامنا هذه « ذلك العشق الحوشى الأحمق ، الذى لا يزال البعض راغبين فى نسبته الى نابغة الشعر فى الحب الفلسفى » ٠ على أن تصريحات أفلاطون السديدة قد قضت سلفا على هذه الادعاءات فى مواطن متعددة من محاوراته ٠ فشخصية سقراط فى هذه المحاورات تظهر أمام الشباب بمظهر من يجد فى طلب الحب ولكن الجمال الذى يريد أن يعرفه وأن يعرفه للآخرين هو جمال النفوس ٠ وليبرهن أفلاطون على ذلك أمام عالم منحل ، وصل الى حد أن اتخذ من القبيادس وهو أعظم مثل للانحلال دليلا قاطعا على صدق قوله ٠ كان القبيادس ثملا الى الحد الذى سمح له بأن ينكث كل عهد وكان بارعا فى غبائه الى الحد الذى سمح له أن يصور لنا وراء مظهر سيلين قلب سقراط الحار الصريح ، قلب سقراط الحقيقى ٠ وتستنكر محاورة الجمهورية بنفس الصراحة التى تستنكر بها محاورة القوانين ، ذلك الحب الشاذ فضلا عن أن أكثر صفحات فدرس حماسا لا تفتأ تذكر الصداقة القلبية والصداقة الروحية ٠ فلئن كان الجانب الفلسفى لم يطغ على الجانب التشريعى فى أفلاطون ، فان الجانب الشعرى لم يطغ على الجانب الفلسفى فيه ، نعم ان أجنحة ملكة شعره قد مست قذارة العصر مسا رفيقا غير أنها لم تتلوث بها ٠

ثمة جدل للجمال كذلك الذى يخص الخير . دعى سقراط وارستوفان وبوزانياس وسراميس وفدرس ومرهينوس واريكسيماكس الطبيب فى ليلة من ليالى عام ٤١٦ق.م، لتناول العشاء لدى الشاعر اجاتون ، احتفالا بفوزه في مسابقة التراجيدى. وقد تأخر سقراط، الذى كان قد توقف فى الطريق غارقا فى أفكاره ، وكانت المأدبة قد بدأت منذ وقت طويل حينما حضر سقراط. ثم انتهى العشاء ورتلت الأناشيد فى تمجيد الآلهة وبدأت المأدبة بمعناها الصحيح . ولم يكن لهؤلاء المفكرين شأن بلاعبات الناى . فطردن ثم طلب الى كل مدعو أن يؤدى جزيته اشادة بالحب . فكان هذا بالنسبة الى أفلاطون ، وهو سيد المقلدين ، ظرفا مناسبا لأن يكتب قطعة رائعة « على طريقة كل مؤلف » فكل مقال كان تقليدا لأظهر مميزاتهم . أما تقليد ارستوفان الذى حرف الكونيات القديمة فى قصصه عن نشأة الأجناس ، فكان بوجه خاص قطعة بلغت أعلى درجات السخرية صيغت فى نثر اتيكى بسيط عذب . ثم يأتى دور سقراط ، فى محاورة قصيرة مع اجاتون ، حيث يبدأ بتصحيح المديح المفرط الذى كاله الخطباء الأولون للحب .

لن يكون الحب شيئا جميلا ولن يكون شيئا مثريا مادام جوهره هو النزوع . وهذا النزوع الصرف ليشعر بالعوز كما يشعر بالخلو . ويختلف الحب عن أن يكون الها عظيما بل لا يصل الى حد أن يكون مجرد اله . فماذا عسى أن يكون اذن ؟ .. ان فى مقدور سقراط أن يجيب على هذا السؤال ؛ لأنه تتلمذ أخيرا على احدى كاهنات مانتينيه هى الحكيمة ديوتمى. ليس الحب شيئا خالدا أو شيئا فانيا ؛ انما هو جنى متوسط المكانة بين الآلهة والانسان . هو ابن لبوروس ملك

الثراء وبينيا بملكة العوز • ورث مظهر المبتئس وحياة البائس عن أمه وأخذ عن أبيه الجرأة المتسلطة • ليس الحب عالما ولا جاهلا بل هو مجرد باحث عن العلم : هو فيلسوف • هو القلق التام والرغبة من كل قلب انساني نحو الخير الأسمى • فالكائن الفاني الذى فينا يريد أن يحصل على الخير أبد الآبدين • فهو يحلم بالخلود ، ولكنه لن يتمكن من أن يصل اليه في هذا العالم الدنيء اللهم الا أن يستعيض عنه بشيء آخر ذلك بأن ينسل ذرية من لحمه أو من روحه مستعينا بالحب والجمال •

آعجب سقراط في شدة بأحاديث ديوتمي هذه ، ولكنها قالت : « ليست هذه ، أى سقراط ، الا أسرار الحب الأولى وستجد فيها ، ان شاء الله ، المدخل في يسر • اذ لا تزيد عن أن تكون دهليزا ، أما عن محراب المريدين فلست موقنة بعد ان كان في مقدورك أن تنفذ اليه ، وانى محاولة على هذا أن ألج معك ذلك الباب » •

ثم أخذت ديوتمي تلقن سقراط المراتب المختلفة لهذا المطلب السامى • فأول رتبة من مراتبه هي حب جسم جميل، وهو حب ذهب صرف هنا كما هي الحال في الجمهورية ، لأنه « يولد أفكارا جميلة » من الكائن الذى اختاره • الا أن الحب لا يزال في هذه المرتبة مكبوتا محدودا • فيدرك حينما يعظم أن جمال الأجسام المتنوع ليس الا صورة لجمال واحد بالذات • فيحب كل شيء ويتخلص من عبودية الواحد الفرد الذى يعوق نهوضه • ولكن شتان بين هذا الجمال الجسمي وبين جمال الروح ! سيصل العاشق الحقيقي خلال مقامات بدائية الى تأمل روح جميلة والفناء فيها ونثر الكلم الطيب تمجيدا لها ثم يرتقي من حب النفوس الى حب الأعمال وحب القوانين •

ثم يقابل ما هو أعلى من الحياة العملية نفسها ألا وهو العلوم. وبارتقائه من واحدة الى أخرى ينسى الاسترقاق الذى قصره على جسم واحد أو نفس واحدة أو عمل واحد . ومن تلك القمة التى وصل اليها عن طريق هذا التصاعد يرسل ببصره الى محيط الجمال بأجمعه . ويبقى فى هذا التأمل مدة طويلة ، يتغذى منه « لينشىء فلسفة متسعة الأفق فى أفكارها وكلماتها » وهكذا تقوى نظرته ، بعد أن دعمت على هذا النحو ، على تحمل ومضة الكشف الأخير .

أما ما يدركه فى هذا التنوير الفجائى ، فهو الجمال الواحد الأسمى . سرمدى لم يحدث ولن يفنى لا يقبل التحبر ولا الذبول . لا تغير الهيئة التى يبدو عليها ولا اللحظة التى يظهر فيها من جماله. ولا يتشكل تبعا لعمر أو لمزاح الذات التى تتأمله. ليس وجها صبوحا ولا أيادى رخصة وليس كلما ولا علما . ليس جمال شىء ما أو جمال كائن حى وليس جمال الأرض أو جمال السماء . ليس الا جمال نفسه ، هو جمال فى ذاته موجود على الدوام متشابه أبدا . ليست أنواع الجمال الأخرى بالنظر اليه الا ومضات عابرة لا يضيف ظهورها أو خبوها شيئا الى بهائه السرمدى ولا ينتقص منه شيئا ولا يغير فيه شيئا . جمال بسيط صاف خال من الشوائب ليس فيه شىء جسدى أو انسانى أو شىء يغرى عينى الجسم أو يرغب فى لغو تلك الشهوات الفانية ، جمال الهى يرتشف من يتأمله من الفضيلة الحقة لا من شبح الفضيلة . فيصبح خليلا للاله وينفذ الى الخلود رغم كونه فانيا .

٥ ـ تعقب الحقيقة

ليس الجمال والخير سوى مظهرين من مظاهر الموجود كالحق والعدل وكالواحد والمتغير ، رغم المكانة العالية التي تضعهما فيها محاورة الجمهورية ومحاورة المآدبة ومحاورة فدرس • لا يتوانى أفلاطون في أن يذكر لنا أن موضوعات الرغبة الانسانية الأبدية هذه ليست هي الكيفيات العابرة للأشياء التي تحدث وتزول ، كما أنها ليست التجريدات التي تقوم بها نفوسنا أو التأليفات التي تكونها ولكنها حقيقة عميقة ، واحدة بالذات ، باقية على الدوام ؛ هي كمال تام متحقق • أما الحد الأقصى للتصاعد الأفلاطوني فهو الموجود أو الاله • ولم يكن تفكير أفلاطون في وقت ما اجتماعيا خالصا أو علميا بحتا أو دينيا صرفا • فنفس المثال، الواقعي والعالي في وقت واحد، يتخذ معيارا للحياة الفردية ونموذجا للمدينة المثلى وموضوعا للمعرفة وللحب • والأفلاطونية في جميع مناحيها وان بدت منطقية تماما ، ليست سوى حب ورغبة وشوق متصل نحو الحقيقة الكلية •

تلك الحقيقة الكلية ، الهية قصية البعد ولكنها مبتغاة الى غير نهاية ولا يألو المرء جهدا في الاقتراب منها • وكذلك كان تفكير أفلاطون ملتهبا منهجيا في آن واحد •

لم يكتف هذا التفكير باستعارة المشاهدات والوقائع من الأطباء ، بل أخذ عنهم بوجه خاص روح الاحاطة والتأني • وقلد طرائقهم وتستر خلف اسمهم وأمثلتهم لتأييد مناهجه النقدية الخاصة • ويستعين سقراط في محاورة فدرس

بهيبوقراط ، أستاذ مدرسة كوس من أجل تبيان أهمية التحليل والتركيب · انه يتعشق هذه المناهج · فهو يشير قبل ديكارت الى أن السر الأعظم لكل بحث هو تقسيم الموضوع المركب الى عناصره البسيطة وأن نتأدى بالتدريج من أبسط المسائل الى أكثرها تعقدا · ولم يكن أقل تعشقا للتصنيفات على النحو الذى اتبعته علوم الطبيعة · وثمة محاورتان من محاورات المجموعة المتأخرة هما السوفسطائى والسياسى مملوءتان بهذه التصنيفات · كان الزوار يترددون من حين الى آخر على الأكاديمية · والممثلون الهزليون يعرضون لنا فى أحد أيام عيد الباناتينية التلاميذ ، وهم منهمكون فى مناقشة خطيرة كان موضوعها تحديد وتصنيف شيء كان يتأمله الكل بشغف : وهذا الشيء هو ليمونة ! والى جوار أفلاطون كان طبيب من صقلية يستمع وينقد ·

لا يقنع هذا التفكير المدقق بأن يرجع على نفسه فى كل لحظة ليراقب نفسه وليحقق منهجه وليصحح من خطئه · فعلى الرغم من وثوقه من مواقفه أو بالأحرى من مطالبه الأساسية، كان يتقبل الاعتراضات أيا كان مصدرها بل كان يتخيلها بنفسه حين تدعو الحاجة · ويعرض أفلاطون فى محاورته بارمنيدس ، الصعوبات التى تثيرها نظريته فى الحقائق المعقولة أعنى الصور الخالصة أو المثل · ويذكر ذلك فى صورة من عدم التحيز وبدرجة من الوضوح يبدو معها أن نقد أرسطو لم يأت بجديد فى هذا الباب ·

العلم الاجمالى لدى أفلاطون مثل أعلى · والبحث العلمى فى رأيه هو عمل لا نهائى فكل اكتشاف يضع اشكالا جديدا · وكان ايمانه بامكانية العلم ايمانا مطلقا · اذ يصرح

فى محاورة مينون بأن الشك من عمل النفوس الكسولة فضلا عن أن احدى الميزات العظيمة لنظريته فى التذكر هى أنها تخلق الباحثين • ولما كان هو سيد الباحثين ، فهو أستاذهم اذن فى الميادين التى لم يهيئها لهم ، بفضل روح منهجه وحب استطلاعه الحر على الدوام • وهو أستاذهم فى ميدانه الخاص بفضل ايمانه بالرؤيا النهائية وبفضل حرارة شوقه، وبفضل اجتهاده فى المحافظة على توجيه كل قوى نفسه نحو الحق على الدوام •

المدينـة الفاضـلة

١ ـ فى الاعتزال وفى العمل

تجرى حوالى عشرون سـنة بين موت سـقراط ورحلة أفلاطون الثانية الى صقلية . شـاهد أفلاطون خـلال تلك الحقبة استمرار المعارك الفظيعة بين الاخوة اليونانيين حين حاولت أثينا وحليفاتها أن تحافظ على سـقوط اسبرطة ، ولكن اسبرطة استعادت السيطرة من جديد ، فتآمرت أثينا وطيبة ضد صولتها العنيفة ، ثم ابتعدت أثينا عن طيبة التى اشتد ساعدها ، وتحالفت أثينا واسبرطة ضد سطوة طيبة . وغذت بلاد الفرس هذه النار وحاولت التحرر شيئا فشيئا .
[illegible]

فساعدت اسبرطة على سحق أثينـا . ولمـا كسر جناح أثينا حاولت اسبرطة استعادة ما تخلت عنه فى آسيا من قبل . وأخذت منذ عام ٤٠١ ق.م فى مساعدة قيروس الأصغر ضد أخيه أرتاكسيركس ، وأيدت فى السنين التالية يونانيى آسيا الصغرى ضد واليهم الفارسى تزافرن . ولـكن أسـطولها ضرب فى عام ٣٩٤ ق.م ضربة قاضية تلقاها من الأسـطول الفارسى عند كنيدا ، وكان يتولى قيادته أمير البحر الأثينى كـونون الذى أخـذ أخـيرا بثـأر النـكبة التى أزيلت فى

ايجوسبوتاموا • ثم تحالفت أثينا مع طيبة وكورنثوس وأرجوس لتتمكن من زعزعة سلطة اسبرطةالصلبة • وأفادت من مساعدة الفرس في اقامة جدرها الضخمة ، وجدر كونون أسطولها البحرى وأعاد اليها ترازيبولوس السيطرة على البوسفور • ولم تتوقف اسبرطة في هزيمتها عن حيك الدسائس من حول ارتاكسيركس وعن التوعد باقامة امبراطورية أثينية جديدة • ونجح أخيرا أنتالكيداس ملكها عام ٣٨٦ ق•م في الحصول على معاهدة تعيد الى الفرس سيطرتهم على يونانيي آسيا وتعيد « الاستقلال الذاتى » لكل المدن اليونانية • وكان في هذا ، القضاء المبرم على كل محاولة للتحالف • وهكذا ظلت اسبرطة سيدة كما كانت •

أدرك ذلك حلفاؤها غير المتحمسين لها كما أدركه أعداؤها • فقد حطمت أسوار مدينة مانتينه وانتشر سكانها في خمس قرى كبيرة • واحتلت قلعة طيبة غدرا وخيانة دون قتال فاضطرت طيبة الى أن تنحاز الى الحلف الاسبرطى • أما أولنثوس التى ارتبطت بمعاهدة حاسمة جدا في خلقدونيا فقد استولى عليها عام ٣٩٦ ق•م بعد قتال ثلاث سنوات ومن ثم تلاشت المعاهدة • ولما خلصت طيبة بفضل تحزب مواطنيها ، انحازت أثينا التى كانت قد نجت من ضربة اسبرطة الى جانب الطيبيين وعملت على اعادة اتفاق بحرى لصالحها الخاص • ولكنها رأت أن طيبة تنال السبق في سرعة ، فعقدت الصلح مع اسبرطة خوفا من تلك القوة المتزايدة • وفي اللحظة التى كادت تنهار فيها قوة اسبرطة ، حين هزمها أباميننداس عند لوقترس عام ٣٧١ ق•م وحين غزيت في عقر دارها ، صممت أثينا على شد أزرها فأرسلت جيشا بقيادة

أبيقراط الى برزخ كورنثوس وتحالفت معها تحالفا عمليا ضد طيبة في ربيع عام ٣٦٩ ق٠م ٠ ثم غزا أبامينونداس البليبونيز مرة أخرى ٠ ورغب حاكم بلدة بريجة الفارسي ودنيس حاكم سيراقوزا في انقاذ اسبرطة ، فعقدا مؤتمر سلام في دلف ولكن جهودهما ذهبت أدراج الرياح ٠ فلم تتخل طيبة عن شيء ٠ بل لقد نجحت في اكتساب أرتاكسيركس نفسه الى جانبها ؛ ولكن هذا لم يكن أحسن حظا في توطيد السلام واستمرت الحرب حتى أرهقت أمهات المدن المتعادية ٠ وعلى هذا النحو كان استغلال اليونان لقوتها ! وفي سنة ٣٦٨ ق٠م ، عقب تدخل الطيبيين الظافر في مقدونيا ، أرسل البلاط المقدوني أميرا شابا ليتلقى العلم في مدرسة طيبة العسكرية ٠ وكان هذا الرهين يدعى فيليب ٠

وقد يطيب لنا أن نعرف تأثير هذه الأحداث الضخمة في نفس أفلاطون ٠ ولكن كل ما نملكه ويا للأسف وهو الوثيقة الوحيدة المقتضبة التي آرخ أفلاطون فيها لنفسه ، أعني الرسالة السابعة ، لا تحدثنا مطلقا عن الفترة بين عام ٣٨٨ وعام ٣٦٧ ق٠م ولا تذكر من أحداث السنين السابقة على هذا التاريخ الا حديثا موجزا جدا ، فضلا عن أن ما ذكرته لا يتناول الا سياسة أثينا الداخلية فحسب !٠ ولما كان شبح سقراط يطغى على المحاورات، فانها لا تظهرنا بشكل مباشر الا على رجال العهد السابق على سنة ٣٩٩ ق٠م وعلى أحداث هذا العهد ٠ والمحاورات مع هذا كله روايات بالمعنى الصحيح : فمن الطبيعي اذن أن تسعى ، كما تفعل الكوميديا ، الى جذب انتباه الجمهور الذي تخاطبه بتلميحات تنم عن حوادث لا تزال حاضرة في الشعور أو لا تزال ذكراها حية في النفوس ٠ واستدعاء تلك الحوادث اللاحقة على موت

سقراط يتضمن أخطاء تاريخية ، تسمح لنا بأن نحدد تاريخ بعض المحاورات على نحو تقريبي ؛ ولكنها سريعة من غير شك بحيث لا تطلعنا على آراء أفلاطون الشخصية • فالمأدبة التي يبدو أن أرستوفان يشير فيها الى تشتت مدينة مانتينه ، يجب أن يرجع تاريخها الى ما بعد عام ٣٨٥ ق•م بسنوات قليلة • ومحاورة تيتاوس مصدرة بمقدمة ذكر فيها أن تيتاوس أصيب بجرح مميت في معركة بالقرب من كورنثوس : فهي ترجع اذن ، على وجه التقريب ، الى ما بعد عام ٣٦٩ق•م • ويؤبن سقراط في منكسين «موتى الحرب»• ويرد هذا التأبين على لسان اسبازيا زوجة بركليس ، ولكي يحول بيننا وبين أن ننظر الى هذا التصوير نظرة جدية أخذ يلخص في خطوط متباعدة تاريخ أثينا حتى سلام انتالسيداس في عام ٣٨٦ ق•م • فمن العسير حقا أن نبحث هنالك عن صدى صادق لحكم أفلاطون على سياسة هذا الزمان •

والواقع أننا نعلم سياسة واحدة لها قيمة الآن بالنسبة الى أفلاطون : تلك هي السياسة التي كان يعدها في عزلته الشاقة • كان لحياة الدرس هذه سحر في نفسه عميق ، فأي مأوى هيأته هذه الحياة ليتعزى فيه الفيلسوف الفار من عدوى العلم الدنس « واذ يلتجيء الانسان خلف حائط حالما تباغته عاصفة شديدة من الأتربة والأمطار ، كذلك ينأى الحكيم بنفسه عن عواصف الظلم حيث يرى الناس يضطربون ، فهو سعيد حقا ان أقام في هذا العالم الدنيء دون أن يتلوث بالبغي والعدوان ، وهو سعيد أيضا ان فصل عنه ملىء النفس بأمل جميل مطمئن القلب قرير العين » • ولكن أيرضى بمثل هذا المصير ؟ كلا ، لأنه سيذهب في المدينة التي أقيمت

له « الى آن يرتفع بكمالهـا الى أقصى حـد بل الى أن ينقـذ شعبها كذلك » . وترسم لنا الجمهورية صورة تلك المدينـة التى سيحقق فيها الفيلسوف حلمه بأن يحقق ذاته .

٢ ـ خيـال وتطـرف

أصبحنا بعد شيشرون نعتبر كلمة « الجمهورية » ترجمة لكلمة تقرب فى معناها من كلمة « دستور » . وهذه الكلمة وحدها هى أفضل ما يعيننا على أن نفهم أن مشروع أفلاطون لم يكن حـدثا جـديدا كل الجـدة فى ذلك العصر . أسـس اليونانيون مستعمرات متعددة اعتادوا أن يقيموا فيها نظما مأخـوذة من مـدن متباينـة ودسـاتير متزايلة . ودفعـوا بمستكشفيهم الى أقطار مختلفة أشد الاختلاف وعرفوا شتى أنـواع النظم الاجتماعيـة . وولعـوا بالجمع والمقـارنة والابتكار . وكتب أرسطو مائة وثمانية وخمسين بحثـا فى الدساتير ورأينا أقريتياس يقـوم بعمـل محـدود من هـذا القبيل . ولكن هذه المادة السياسية كانت لم تزل فى عصر أقريتياس فى دور التكوين بصورة أوضح مما كانت عليه فى عصر أرسطو . وفى أثناء الثورات التى حدثت فى عام ٤١١ ق.م ، وفى عام ٤٠٣ ق.م ، هيأت الحـرب الأهليـة وغذتها حرب مساجلات سياسية . وكانت الأفكار على حال أشبهت التباغض فى تباعدها . وكانت مسـألة الدسـاتير النافذة أو المقترحة أو المفترضة عـلى درجة من التعقيد ، سمحت لمؤرخ كأرسطو نفسه أن يخطىء فيها .

أما فى فترة الهدوء التى أعقبت هـذه الثورات ، فان أشد انقلابات المشرعين تطرفا لم تكن لتزعج بعض القراء

الذين شهدوا كثيرا من التقلبات ، بل وجد فيها أصحاب الكوميديات على العكس من ذلك موردا ميسورا • فعرض أرستوفان حوالى عام ٣٩٢ ق٠م روايته « مجلس النساء » وتبعا للخطة التى يفصلها زعيم برلمان النساء هذا ، يصبح كل شىء حقا مشاعا للجميع « من خبز وكعك وملابس وخمر وأكاليل وبقول » بل ومن نساء كذلك ، وسينادى الأطفال أن « يا أبت » لكل رجل متقدم فى السن • ويعمل العبيد فى الأرض • أما المواطنون والمواطنات ، فليس من عمل لهم الا أن يحيوا فى دعة وأن يتسامروا ما طاب لهم السمر • وكان هذا الذى عبر عنه أرستوفان فى سخرية ماجنة هو الهدف الخطر الذى رمى اليه بعض الخياليين • ألم تكن النزوة السائدة فى ذلك الحين هى المقابلة بين الطبيعة والقانون واعتبار كل ما هو جمعي صادرا عن تواضع الانسان وهواه ؟ •• ـ فليس من عجب أن تتباعد حدود الامكان الى ما لا نهاية وأن يأمل الكثيرون وهم غارقون فى أحلامهم فى أن يعودوا الى الحقيقة البدائية •

اعتبر أفلاطون الدولة ضرورة من ضرورات الطبيعة • ومع هذا فلم تكن النزعة الفنية لديه هى التى جمعت وحدها بين الخيال والحب • اذ ان رجل العمل يعاوده القلق ، فى العزلة التى فرضها على نفسه ، من أجل اعداد العدة لمستقبل بعيد جدا • فكان فى حاجة اذن الى تحقيق هذا المستقبل والى أن يراه حاضرا لساعته أمام عينيه لا أن يبقى حلما مطويا • وقد انضاف العنف الذى ثار فى نفسه نتيجة لتدبره لوطنه ونتيجة لحبه لوطنه كذلك ، الى دافع الاستنتاج المنطقى فتمخضا عن جرأة فى التفكير لا تعرف حدا • ولكن الخبرة والسنين ستطامن من غلوائه الذهنى وستعيده الى الائتلاف

مع الواقع من جديد • رغم تنازله على هذا النحو عن « الفروض » وتكيفه بالظروف الواقعية ، فانه سيحتفظ على الدوام بذكرى « نظريته » وآسفه عليها وسيحتفظ بما يحتفظ به مفكر البرج العاجي من تفضيل للأفكار التي يعلم أنها أشد ما تكون بعدا عن التحقيق •

ما هو في نظره أعظم شر للمجتمعات الموجودة ؟ •• هو الربط بين « القوة » و « الاستمتاع » ذلك الربط الذى يعتبره الجميع طبيعيا وضروريا • ولقد سمعنا بولص وخاليقليس ينادى ، كل منهما بأسلوبه الخاص بحق القوة وبعدالة الفعل الذى لا وازع له • ويفصل ترازيماخوس نفس النظرية في حماس شديد فى الكتاب الأول من الجمهورية • ليست العدالة اذن الا مصلحة الأقوى : ففى كل دولة سواء أسارت على الطغيان أم كانت ديمقراطية أو أرستقراطية ؛ ليس للقوانين من غاية غير منفعة الحاكمين • أما الصور المثالية للملك راع فأبعد ما تكون عن الفطنة بل الأحرى أن نقول انها لغو فى الحديث : آلا ترى الى رعاة الأغنام ورعاة الأبقار كيف يسمنون الأغنام والأبقار فى غير ما نظر الا الى منفعتهم ومنفعة أسيادهم ؟ •• ــ ان شهوة الحكم لأعظم الشهوات جلبا للنشوة ، اذ كل الشهوات متضمن فيها •

أى دواء عسى أن يصلح لهذا الداء الذى أفسد كل فكرة عن الحكومة أو يصلح على الأقل لأن يفصل فصلا تاما بين معنى السلطة والمنفعة الشخصية ؟ •• ــ انا نجد فى هذا الدواء وسيلة لرفع الداء الآخر فى نفس الوقت ، أعنى الجور المفسد الذى يسود المجتمعات الشعبية والبلاد

الديمقراطية . لنخل بين الشعب وبين الحرية الكاملة المطلقة في الشئون الاقتصادية ، ولننتزع منه السلطة ومشاغل الحكم ، وعلى العكس من ذلك ننحي بين الحاكمين وجميع المشاغل المادية حتى أبسط ميول التملك والمنفعة فلا ندع لهم الا وظيفة واحدة ، ومهمة واحدة ، هي حكم الدولة . أما المؤونة فسيكفلها جمهور الصناع والعمال لرؤسائهم كما يكفل الغذاء لكلاب الحراسة . فاذا ما أحسنت تغذية تلك الكلاب وكانت كلابا قنوعة متيقظة فستحسن بدورها قيادة القطيع ورعايته . ويصدر عن هذا المبدأ ما نسميه عادة بشيوعية أفلاطون . وهي شيوعية ان شئنا من أشد أنواع الشيوعية تطرفا ما في ذلك شك ؛ ولكنها قاصرة على طبقة حراس الدولة ورؤسائها .

ولما لم يكن لهؤلاء الحراس من شاغل آخر سوى حماية المدينة وادارتها فسننشؤهم كما تنشأ القلعة ، أو كما ينشأ جيش احتلال في أحد المعسكرات . وكانت اسبرطة قد بثت أمثال هؤلاء الحرسة في اليونان بأسرها على وجه التقريب في الحقبة التي ألف فيها أفلاطون محاورة الجمهورية ويحتمل أن يكون ذلك خلال الفترة التي بين عام ٣٨٤ وعام ٣٧٤ ق.م ، وكان يتولى الحكم في كل مدينة جماعة من الأرستقراط المنتخبين تحت اشراف ورعاية هؤلاء الحرمة . ولكن أفلاطون تابع ما يتضمنه مبدؤه من منطق ، فشأن هؤلاء الحراس شأن المتحاربين في المعسكر . لن يكون لهم منزل أو حانوت لا يطرقه الجميع . ولن تكون لهم ملكيات خاصة البتة . وسيتناولون طعامهم على موائد مشتركة بينهم ولن يتقبلوا من المواطنين الا ما يلزمهم من مؤن لسد حاجتهم السنوية وسوف لا يتقاضون أى أجر على

عملهم . وحظر عليهم وحدهم امتلاك ذهب أو فضة فضلا عن مسهما أو لمسهما . وسيكونون اذن فئة من الموظفين غير مأجورة . ولنذهب الى أبعد من ذلك بأن نذكر المبدأ الذى صاغه أفلاطون خاصا بذلك : « لن يملك أحد منهم شيئا سوى بدنه أما كل ما عدا ذلك فهو شائع بينهم » .

يعنى بكل ما عدا ذلك النساء والأطفال أنفسهم . أما الى أى حد تجاهل أفلاطون المرأة ، فهذا ما يظهر من تلك العبارة الوحشية الساذجة « كل ما هنالك من فارق بين الجنسين هو أن الذكر ينسل والأنثى تلد » . وثمة قول آخر أقل عنفا من سابقه وهو : « فى مقدور المرأة أن تقوم بكل ما يؤديه الرجل ولكنها أقل منه قدرة وأردأ منه انتاجا » . وكذلك كان أفلاطون عصريا كاسبرطة التى اتخذها نموذجا له ، غير أن هؤلاء العصريين كانوا من الأقدمين . فأراد أن يلقن الفتيات نفس التعاليم التي يتلقاها الفتيان وأن يكلفهن نفس الواجبات ، هذا مع مراعاة ضعف جنسهن .

لكنه ويا للأسف يذهب الى أبعد من هذا ويسبق التجارب الخطيرة التى تحاول بعض المذاهب السياسية ، وان كانت من نوع آخر ، أن تحققها بعد أن كانت من قبل أحلاما . «وستكون النساء حقا مشاعا بين الحراس فلا تسكن احداهن على الدوام الى فرد بالذات . وسيكون الأطفال كذلك أبناء للجميع فلن يعرف ولد أباه ولا أب ابنه » ولنطو كشحا عن التنسيقات التى تخيلها من أجل المحافظة على سلامة النوع . ولنشر فقط الى ذلك المعهد الغريب الذى يجمع فيه الأطفال أو « روضة » الأطفال الأهلية الى حيث تذهب الأمهات لارضاع الأطفال ويعهدن بكل شيء آخر الى عناية المربيات .

الام تصل القسوة بمنطق ذلك الخيال ! ــ « علينا أن نتخذ جميع الاحتياطات الممكنة حتى لا تتعرف أى أم على ولدها» . وان مثل هذه الخيالات لتذكرنا بكلمة بسكال : أراد أفلاطون أن يعلو على الطبيعة فسقط الى الحضيض .

٣ ــ نحو أحلام أنسب للانسان

وددت لو أفصل فى سرعة عن هذه الأضغاث ، وأحمد الله اذ أجد فى محاورة الجمهورية أشياء أخرى . وانا لنشعر بارتياح حين نسمع سقراط يعترف فى موضع آخر بأن خطته عسيرة التحقيق فى مجموعها فعلينا أن نحاول الاقتراب منها قدر المستطاع فقط . وليس فى وسع المرء ألا يفكر فى أن أفلاطون لو كان مسيحيا لاستطاع أن يحقق مثله الأعلى مع بقائه انسانيا مع ذلك . ماذا يريد على وجه التحقيق ؟ . . ــ أراد ألا يفرق « ما هو لى وما هو لك » بين حراسه وألا تشغل قلوبهم عواطف أخرى عن أن يتفرغوا تفرغا تاما للعمل المطلوب منهم ، حتى ولو كانت هذه أقدس العواطف حرمة . ولما عجز عن الكشف عن وسائل أخرى للزهد فقد لجأ الى الزيغ والتخبط فزاد الطبيعة قسوة على قسوتها . هذا ، وقد لجأت عصورنا الوسطى الى ايجاد النظم الدينية العسكرية فى سبيل حل مشكلة كتلك .

وانا لسعداء اذ نجد فيه الى جانب المنطقى الفظ مدافعا انسانيا الى أقصى حد عن « حقوق بنى الانسان » ولعل من الواجب أن نقول « عن حقوق اليونانيين » فحسب . ولكن ألا يكفى فى سبيل تحقيق حلم السلام الشامل أن نبدأ أولا

بتلطيف النزاع بين الاخوة والجيرة ؟ . . – أليس فى السلام الأوروبى مقدمة جميلة لسلام عالمى ؟ . . . – أدرك أفلاطون اذن كما أدرك بعض ذوى النفوس النبيلة فى ذلك الحين أمثال جورجياس عينه وليزياس وايزوقراط أن الحرب الداخلية بين اليونان هى السبب الوحيد فى غلبة البرابرة . وهو يقر بذلك ولكنه لما لم يكن يأمل فى أن تضع الحرب أوزارها فى الحال ، أراد أن يوقف الجميع على حقيقتها على الأقل ويبين لهم أنها حرب أهلية ومرض عضال وآفة يجب أن نضع لخطرها حدا . فيجب اذن ألا تستعبد أية مدينة يونانية أو أية نفس يونانية . وألا تسلب أمتعة ولا تخرب أرض الوطن ولا تحرق المنازل . وأن نقنع بمحصول العام . وألا يعامل مواطنو الدولة معاملة الأعداء سواء أكانوا رجالا أم نساء أم أطفالا . وألا تمد من أجل الحرب الى ما بعد اليوم الذى يتقدم فيه بالاعتذار المذنبون الحقيقيون ومن كانوا سبب الخصومة . وفى اختصار ، ألا نقوم بأى حركة من شأنها أن تشعل الحرب دون أن نذكر وجوب نشر السلام فى صبيحة اليوم التالى . أفكار جميلة ، كانت لها قيمتها وسط فظائع كتلك التى لمحناها من قبل . فهل كانت هذه الأفكار أقل أثرا فى نضالنا « العلمى » فيما بعد ؟

لم يكن أفلاطون يقينا ليبشر بسياسة خداع . ولم يكن ليؤمن بأن ثمة معجزة ستخلص الانسانية أو لينصح لشعب ما أن يهب نفسه لقمة سائغة لأطماع الآخرين . وبقدر ما يعرض من يطنطنون بذكر الحرب أوطانهم لأضرار لا تغتفر أخذ أفلاطون يعيب ، فى محاورة السياسى ، أخلاق التخاذل « التى تحولت من حب فاضح للسلام الى فقدان كل قدرة على الحرب وأصبح الناس وهم تحت رحمة أول مهاجم ».

ولم يعتبر الحرب أقل خطرا من هــذا • فأخــذ فى محاورة الجمهورية نفسها وكذلك فى محاورة القوانين منذ بدايتها وهى جميعا تعتبر دستور هذا المفكر ، يثور فى حدة ضــد المثل الأعلى للمحارب الذى قدسته كل من كريت ولاقيدومونيا • وكانت الحــرب قد أصبحت المصــدر الوحيــد لعصــابات المرتزقة الذين أخذوا يعرضون خدماتهم منذ امد بعيد عــلى طيبة حينا وعلى أثينا أو على اسبرطة حينا آخر وعلى مصر او فارس حينا ثالثا ، ثم اكترتهم مقدونيا لغــزو العــالم • ويحقر افلاطون من شان هؤلاء القتلة الاجراء ولكنه يدعو فى نفس الوقت الى اجلال أصحاب الضمائر ، أولئك الذين يجد فيهم الوطن امنه وطمأنينته وهو يضع هؤلاء فى مرتبة تتلو مرتبة المشرعين مباشرة • وهذا لا يمنعه من أن يصرح بأن الحرب ليست غاية للدول ولكن السلام هو الغاية او أن الغاية هى شىء يفضل كل شىء آخر بل ويفضل فضيلة السلام الانسانى نفسها ، أعنى الانصاف التام •

٤ ــ مملكة الانصــاف

لئن كان القــدر العــاثر قد شــاء أن يحرمنــا من كل محاورات أفلاطون فيما عدا الجمهورية ، فاننا سنجد أيضا فيما يكشف عنه هذا الأثر الرائع من ثروة فى الفــكر وفى النغمات والأسلوب دواعى كافية لتبرير اعجــاب القــرون المتتالية « بأفلاطون الاله » • وتبلغ هذه المحاورة وحــدها من الاتساع ما لا تكاد تبلغه محاورات جــورجياس ومينون وفيدون والمأدبة سويا ، بل وكل ما عالجته هذه المحــاورات من نظريات تلتقى جميعا فى تلك المحاورة • وهى من جهة

أخرى مملوءة بأفكار تزيدها المحاورات اللاحقة تفصيلا . وكان أفلاطون قد فصل عن هذه المحاورة من حين الى آخر خلال السنوات التى أوقفها على تأليفها لينشىء محاورات أخرى أقصر منها. ومهما يكن من أمر تعقيدها ، فانها بديعة البنيان لا تكتسب وحدتها من ذلك الفن الدقيق الذى يجانس بين أجزائها فحسب بل ان ثمة فكرة تسودها وتكسبها الحركة والحياة ــ تلك هى فكرة الانصاف .

ارتطم العالم من وقت لآخر بنظريات تقر القسوة والظلم . ولكن الواقع أن العالم يزدرى القوم العادلين ويحتقرهم ان كانوا ضعفاء بائسين ولا يحب الا الفوز والانتصار . ولكن الفوز يأتى الظالم الذى يحيط نفسه بمظهر الخير ويجنى الشر فى غير ما حرج ولا تردد . وقد يهتدى العادل فى سيره بضوء ضميره ولكن هذا الضوء لا ينير العالم . فان لم يبغ عن العدالة حولا ينكر فضله ويزدرى شأنه « فيضرب بالسياط ويعذب ويكبل بالأصفاد ويقضى على نور عينيه . ثم يصلب بعد أن يذوق هذا العذاب الشديد . ألا يرى حينئذ أن المسألة لا تنحصر فى أن يكون منصفا بل تنحصر فى أن يبدو كذلك ؟ ... » .

ماذا يذكر الشعراء الآن وهم أضواء العالم ؟ ... لئن تمدحوا بالمنصف فانما يفعلون ذلك ليذكروا لنا أن الآلهة انما تطفف له النعيم وتفيض عليه بالخيرات وأنها ستجزيه حتى بعد موته ماديا . ولكن كم يجعلون من سبيل العدالة طريقا وعثة شاقة ! أما طريق البغى فهى على النقيض لينة منثورة بالرياحين . ألم نر الى آلهة هؤلاء الشعراء كيف وهنت عزيمتهم فى توعد الظالم بعذاب الجحيم ؟ لئن أرادوا منا تقدير العدالة حق قدرها لامتنعوا

عن تصويرها فى صورة سبيل غير مأمونة الجانب الى حد ما ولقالوا لنا ان العدالة هى لذاتها أفضل فضائل النفس ، وان الظلم أردأ سيئاتها ٠

ولكى نعرف طبيعة العدالة فى حقيقتها لن نتريث حتى نكشف عنها فى حياة الانسان الخاصة ٠ فنفس الانسان ميدان شديد الضيق ، خطت عليه الحقيقة بحروف دقيقة يعز على بصرنا القاصر ادراكها ــ فالأجدى أن ننظر فى حياة المدينة وأن نسعى الى قراءة الحقيقة فى صفحة هذه النفس الكلية ، التى تكشف لنا فى صيغة مكبرة ميسورة القراءة عن سطور النفس الفردية ٠ تتكون المدينة من ثلاث طبقات من بنى الانسان ، الطبقة الحاكمة وطبقة الجند وطبقة الصناع والعمال ٠ فان تحقق هؤلاء بالصفات المفروضة فيهم مثلت طبقة الحكام الحكمة فى النفس الكلية وتجسد الجند الشجاعة ٠ أما الاعتدال أو ضبط النفس ، فيسود المدينة ان احتفظت بتدرج متناسب بين أفرادها ، فاين موضع العدالة ؟ ٠٠ ــ توجد فى النظام الذى يضع كل كائن فى موضعه والذى يحد نشاط الكائن ورغباته بحدود وظيفته الخاصة ٠ فلكل عمله ٠ وما ينبغى للنجار أن يستحوز على آلات الحذاء (بفتح الحاء وتشديد مع فتح الذال) ولا أن يتدخل فى صنع الأحذية فان هذا عين الفوضى ، وكم تكون الفوضى أوخم عاقبة لو أن النجار أو الحذاء أرادا من غير تدرب أو كفاية أن يقوما بعمل الجند أو أن الجندى أراد أن يحل محل الحاكم ٠ فاذا ظل كل عنصر من عناصر المدينة وظلت كل قوة من قوى النفس فى موضعها وقامت بوظيفتها على خير وجه ، استتب النظام وسادت العدالة ٠ أما النظام ، فهو الصحة بالنسبة للنفس وللجسم على السواء ،

وهو خير النفس الطبيعي وشرط حياتها السليمة ، أفي حاجة نحن الآن الى أن نتساءل ما اذا كانت العدالة خيرا من الظلم او كانت مفيدة للفرد أو للمدينة ؟

ان واجب التهذيب هو بث الأفكار والعادات التي تكفل هذا النظام الطبيعي بل هذا النظام الغريزي ان صح هذا التعبير . يجب أن يبدأ التهذيب منذ الحداثة وأن يستعين حينئذ بالقصص . وهنا نرى أفلاطون ، ذلك النظري الذي نادى بالعلم المطلق ، لا ينكر أن العلم لا ينفذ الى الحياة الا على هيئة قطرات . فانا نظل أطفالا لمدة طويلة وما أسهل ما نعود الى ذلك الطور ! ان الغريزة هي التي تقودنا في أغلب الأحيان وكذلك في الأحيان التي ننساق فيها لفكرة ما، نرى أنها تنبثق فينا من أعماق ذكريات معتمة . وأفعالنا انما تصدر عن جبر وعن تأثيرات لا ينالها الشك ، واذا صدر تصرفنا عن مؤثرات واضحة فان هذه الأخيرة أقرب ما تكون في أغلب الأحيان الى الوجدانات أو الحدوس أو الاستدلالات المحتملة ، منها الى الاستنتاجات اليقينية . فالتقاليد والاعتقادات والخرافات والظنون قوى تفوق العلم في التأثير . علم أفلاطون هذه الحقيقة وأخذ يستعين بها ما وسعه ذلك ليهيىء على الأقل الطريق المؤدية الى الاستدلال واستعان بها كذلك ليحل الاستدلال محله من النفوس التي لم تكن تستسيغه من قبل . ولئن كان أفلاطون قد قبل الخرافة ، فانه قد اشترط على الأقل أن تكون جدية حاثة على الخير ، وان كان ظاهر الخرافة لا أساس له من الصحة فقد أراد أفلاطون أن تكون صحيحة في دلالتها .

وسيختلق مشرعوه أنفسهم قصة خرافية ، اذ يذكرون للحراس والجند والصناع والعمال أنهم جميعا انما نشأوا

وخلقوا من طينة واحدة كانت تختلط بالذهب والفضة والحديد · يولد الأطفال عادة من نفس معدن آبائهم ، ولكن قد يمتشج ابن الحارس يوما ما بالحديد بدلا من الذهب ، وقد يولد ابن الحاطب ونفسه من ذهب · وحينئذ يرفعون أو يخفضون من غير ما تأخير الى درجات استئهالهم، لأن المدينة ، وهكذا يقول المشرعون ، تهلك لا محالة ان تولى عنصر الحديد السلطة فيها · فالطوائف عند أفلاطون اذن مباحة للجميع الى حد ما ·

ثمة قوم يحترفون صناعة القصص ، ومن هؤلاء يتنقى الشعب اكبر قسط من ثقافته · ويحدثنا أفلاطون بدوره بعد هرقليطس واكسينوفان عن قيمة هؤلاء المثقفين ، فيسخر هو الآخر فى عنف من أسياد الخيال أولئك الذين أصبحوا أسيادا للحياة ، لذلك لن يخلى بين خيالهم الخصب وبين سلطة غير مأمونة الجانب فى مدينته التى يشيدها · نعم ، أتى هوميروس وهزيود بدين اليونان · ولكن الفكرة التى يقدمانها عن الآلهة متضاربة بعيدة عن كريم الخلق مملوءة بالنفاق · فلن نسمح اذن لأكاذيبهم بأن تستمر فى تسميم النفوس · كفتنا تلك الآلهة التى تتطاحن وتصطرع وتأتى الفحش والنكر، والتى تغار من بنى الانسان وتنتقم من سعادتهم ! ليس شأننا أن نؤلف قصصا ، ولكننا نطلب ممن يتحدثون عن الآلهة أن يراعوا هذه القاعدة العامة وهى : أن تظهر الملاحم والأناشيد والتراجيديا ، الله على حقيقته · فالله ليس علة للشر مادامت ماهيته الخير ، والله لا يفعل الا العدل: فاذا عاقب المجرمين فانما يبغي هدايتهم وصالحهم · والله بسيط فى غير تعدد أو كذب : لا يغير من صورته ولا يبدل من كيانه أو من الحقيقة التى هى ذاته · فلن نتغاضى اذن عن القول

بأن الآلهة سحرة ، وينبغى أن نخلص أعمال هؤلاء الشعراء تخليصا تاما من عناصر الفساد « ان شئنا أن يكون حماتنا صالحين تشملهم القداسة الى أقصى ما يمكن أن يصل اليه الانسان » ٠

سنبعد كذلك كل الفقرات التى تصور الأبطال يبكون أو يتألمون ، يكذبون أو يتنازعون ، يتشاتمون أو كانوا فى أفعالهم يفرطون ٠ ان الشعر تقليد فى أساسه ولكنه مولد للتقليد كذلك : فهو يبعث فى نفوسنا ويثير فينا المشاعر والأفعال التى يتناولها بالوصف ٠ لذلك لا يقبل أفلاطون منه الا ما كان موضوعه الفضائل وكانت وسيلته البحور والأوزان الهادئة البسيطة ٠ وأخذ أفلاطون بنفس القاعدة فى اختيار الأغانى والانشاء والتصوير والنحت والتدريبات الرياضية ، وأخذ بها كذلك فى العلم الذى ليس الا امتدادا لها ، أعنى الطب ٠ فهذا العلم الأخير يجب ألا يكون من أغراضه المحافظة على حياة من لا نفع فيهم ٠ لذلك أراد أفلاطون لهروديكوس التعس ــ صاحب الملعب الذى أقعده المرض فصرف جهوده الى المزاوجة بين التدريبات الرياضية والطب ــ « أن يمضى ما بقى له من عمر فى ركود وعزلة » ٠ ويحدثنا أفلاطون عن نجار سقط مريضا فقبل أن يطهر جسمه وأن تبتر الأعضاء المعتلة منه وأن يحرق ، وقد حدث ذلك فى غير توان ٠ أما لو أتاه حديث علاج دقيق طويل لعاد الى منشاره ومعوله ، فاما أن يشفيه العمل أو يخلصه الموت ٠

آداب وموسيقى وألعاب رياضية ، ذلك هو المنهج العام الذى يكفى جماعة الحراس ٠ ولكن يوجد من بينهم ممتازون

نادرون أعدتهم الطبيعة لأسمى الأعمال فهم يتحرقون شوقا الى العلم والى العلم بكل فروعه ، ويبغون تأمل الحقيقة الخالصة فيلتمسونها فى الحقيقة اللامتغيرة فى الأشياء العابرة · أولئك فلاسفة بالفطرة ، وسيحصلون عن طريق التدريب والتعليم على درجة من الكمال تمكننا من أن نعهد اليهم بادارة المدينة فى غير ما وجل · ذلك أن أفلاطون يعلن بأعلى صوته أن : « لن يسود البشر سلام ما برح الفلاسفة بعيدين عن عرش المدن أو لم يتحول الملوك وأصحاب السلطان الى فلاسفة بمعنى الكلمة » · وسواء وهب الفكرة القوة أو أعاد القوة الى الفكرة ، ألم يكن هذا حلما نبيلا فى عصر أكد ومارس حق القوة وحده ؟ ··

ان الطريق المؤدى الى علم السيادة الحق هذا ، طريق شاق بعيد ، وان كانت الفلسفة قد نبذت الى هذا الحد فلعل السبب فى ذلك ، يرجع الى سوء معاشرتها فى أغلب الأحيان، ويرجع السبب فى ذلك أيضا الى الاقتراب منها والابتعاد عنها فى سرعة شديدة باعتبارها مرحلة بين عهد المدرسة وعهد الحياة العملية · فقد اعتبرت فضلا من ثقافة يفتخر بالحصول عليها ولكن ذلك يكون فى عجلة ورفق · ولما كانت الفلسفة كمالا فسوف لا نسمح لأفضل حراسنا ببلوغ هذا الكمال الا بعد تدرج منهجى وسلسلة اختبارات عسيرة ·

سوف نعلمهم منذ الحداثة الحساب والهندسة وغيرهما من العلوم التى توقظ الروح الفلسفية · وسوف نخلص هذا الضرب من التعليم من كل ارغام · فيلقن الأطفال العلم كما لو كانوا يلعبون ويمرحون · وفى سن العشرين بعد أن يمضوا عامين أو ثلاثة أعوام فى التدريبات الرياضية ، يعود

أزكاهم روحا الى ممارسة العلوم من جديد ، ولكنهم يتعمقونها فى هذه المرة ويملكون أعنتها بوجه خاص بأن يتمكنوا من نظمها وتسلسلها ، ثم يساقون من علم لآخر درجة درجة حتى يبلغوا علم الحقائق المعقولة أو الجدل ٠ فيقتربون من هذا العلم فى سن الثلاثين ويلينون عرائكهم بممارسة مختلف مناهج الاستدلال الفلسفى ٠ وليست الغاية من ذلك مجرد الزهو الذى لا طائل وراءه أو المجادلة اللفظية التى لا نفع فيها ، ولكن الغاية هى التعود على ادراك الحقيقة على خير وجه وعلى الدفاع عنها بأفضل الطرائق ٠

وفى سن الخامسة والثلاثين يهبطون من قمم الأفكار المجردة ؛ لكى يقوموا خلال خمسة عشر عاما بكل الواجبات العسكرية والمدنية المفروضة على كل رجل فتى ٠ وفى سن الخمسين فقط يسمح لأولئك الذين يجوزون كل هذه الاختبارات بنجاح أن يتأملوا بصفة دائمة ماهية الخير ، أى الشمس المعقولة منبع كل وجود وكل نشاط ومسبار كل وجود وكل نشاط ٠ ولن يكون هذا ضربا من التأمل الكسول ٠ ولنصل الحديث بتلك الصورة التى أحبها أفلاطون ، مثلهم مثل البحارة على المركب سيدع كل منهم دراساته المنهكة لكى يحظى « بقسطه من الحراسة » وسيكون هذا واجبا لا محيص عنه أكثر من كونه شرفا يتقلدونه : فيتواترون على حكم المدينة وينشئون رجالا أكفاء لأن يحلوا محلهم ٠ وحينما يفرغون من تأدية عملهم على خير وجه يرحلون الى الجزر السعيدة حيث يلقون خير جزاء ٠ وستمجدهم الدولة كما لو كانوا كائنات الهية ٠

٥ ـ انحراف وتقهقر

ان تولى الحكم فرد من بين هؤلاء الحراس الفلاسفة قلنا عن الدولة انها ملكية ، وان تقاسم السلطة كثيرون سميناها ارستقراطية · وليس ثمة من اختلاف الا فى التسمية : فجوهر المسألة هو أن يستمد الحاكم أو من بيدهم الحكم قوتهم من المبادىء التي قررناها وأن يداوموا على تنفيذها·

ويبدو من العسير أن يتغير دستور بلغ من الكمال هذه الدرجة · بيد أن الأجيال الانسانية خاضعة لقوانين غريبة فى تقدمها وتدهورها، فقد يقوم الزواج على غير أساس من الوفاق وقد تسوء رقابة المواليد فيختلط الحديد بالفضة بغير حق ويمتزج البرونز بالذهب · تلك هى بذور القلاقل والفتن · أما الحاكمون والجند وقد انتصروا فى نهاية الأمر فسوف يفيدون من هذه الحال فى الاستحواذ على الأراضى والمنازل وفى استرقاق العمال والصناع الذين عاملوهم من قبل معاملة الأحرار · ويستبقون الى جانب ذلك من النظام الأرستقراطى احتقارهم للأعمال التى تدر الربح وتناولهم الطعام على موائد مشتركة وكلفهم بالتدريبات الحربية والرياضية · ولكنهم سوف ينحرفون عن الفلسفة ويكلفون بالقتال والسلطة والمال · تلك هى التيموقراطية ، حكومة أساسها الطمع، تراها متحققة فى نظم كريت ولاقيدومونيا·

تبعث الملكية الفردية حب المال فى النفوس ، وخاصة حينما يجد المالك نفسه مدفوعا الى أن يحافظ عليها والى أن ينميها دون أن يقوم بأى عمل من جانبه · وسرعان ما يصبح

الفرد ولا مطمع له الا أن يغدو مثريا وأن يبدو كذلك . ثم تصل الحال عاجلا أو آجلا الى عدم السماح لأى فرد بالوصول الى الوظائف العامة دون أن يكون ذا نصاب مالى معين . وهكذا تنشأ الأوليجاركية ، حكومة الأقلية الرأسمالية .

وسرعان ما تنقسم الدولة على نفسها : فلا تعود مدينة واحدة بل مدينتين ، احداهما للأغنياء والثانية للفقراء . تحيا الواحدة منهما فى الخزى وتنهش كل منهما الأخرى . واذ كان لكل فرد حق البيع والشراء ، فان البخلاء سوف يغنمون من انهيار المسرفين . ويصبح هؤلاء « الأغنياء الأقدمون » وقد قنطوا ، كالزنابير التى لا تقلع عن الطنين والايذاء . فيصبحون وليس لهم من أمل الا فى الثورة لفقدانهم الخير والشرف فى آن واحد . وما أيسر أن تثار هذه الثورة فقد عجم الفقراء عود الأغنياء على ظهر البوارج الحربية أو فى ميادين القتال وسبروا غورهم ، وانتهوا الى القول بأن : « هؤلاء القوم ليسوا أقوياء الا لأننا جبناء » . فيثورون فى أول مناسبة وينالون زمام الحكم وبذلك تحل الديمقراطية محل الأوليجاركية .

هل الديمقراطية حكومة ؟ .. أليست جديرة بأن تكون حشدا ، كما يحدث فى السوق، لما نشاء من أصناف الحكومات؟ فكل فرد يحيا تحت ظلها بأسلوبه الخاص ، وفيها يجد أصحاب الطرائق الحرية التامة لنشر تعاليمهم ، وفى حماها تتأكد كل الطباع . ليس ثمة ما يفوق هذا التأبين كثرة وتساهلا ، وما أكثر التسامح فى هذا الحكم ! اذ يتحرك من حكم عليهم بالاعدام أو بالنفى فى حرية ويتغطرسون فى صلف كأنهم أبطال . ويفوز بالأصوات أكثر الأفراد طنطنة فى تنصيب

أنفسهم قادة للشعب ، فلا يحاسب أحد عن نشأتهم أو عمق زكاهم · وفي هذه الغمارة حيث يستوى الكهل والشاب ، والغنى والفقير ، والحر والعبد يتولى القيادة الزنابير الذين أسلفنا فيهم القول · فيقوم بالدعاية أكثرهم حماسا وكذلك يقترحون القوانين ، ويتزاحم الآخرون مطنطنين من حول المحكمة خانقين كل صوت معارض : ولا عجب فهم السادة · يقسمون ثروات الأغنياء على الشعب محتفظين لأنفسهم بأوفر نصيب ، وتذهب شكوى الأغنياء أدراج الرياح ويساقون آخر الأمر الى القيام بحركات يتهمون بتدبيرها للقضاء عليهم ، بمعنى أنهم يتآمرون ويثيرون الفتن ·

ثمة رجل يحذق تملق الشعب على الدوام وينصب نفسه حاميا له ، زنبار ذو حمة حادة وشهوة مفرطة ، مستعد لكل انقلاب واراقة للدماء ان بدت له من وراء ذلك السلطة والثراء · فيلغى الديون ويقتسم الأراضي ويشرد الأغنياء ويقتلهم · أما خصومه وقد عجزوا عن القضاء عليه بالطرائق المشروعة ، فانهم يتخذون مسالك أخرى · وهذا ما كان يؤمل فيه : فيشكل هيئة تحرسه وسرعان ما « يتربع على عربة الدولة ظافرا » · وليس « حامي الشعب » فى أول عهده الا ابتسامات ووعود وعطايا · ولكن كل هذا يختفى ويخبو (الحماس) الشعبى · فيثيره حامي الشعب باعلان الحرب التى يؤكد فيها دور المنقذ · فأية وسيلة أخرى عسى أن تفضل هذه لاعواز الشعب ولكسر شوكته ، وأى ظرف أنسب من هذا للتخلص ممن يخشاهم ؟ ·· وعندما تجأر الأصوات بالشكوى يخنقها فى لجة من الدماء ، ويبدأ بالقضاء على من صعد على أكتافهم ، وهكذا لا يرى من حوله الا أعداء فينعزل

فى حصنه كدابة متوحشة وهنالك يحيا تساوره الشـكوك والمخاوف ٠

الطغيـان ، تلك هي آخـر درجة من درجات الانحطاط التدريجى ٠ هو أقصى ما يمكن أن يصل اليه الجور ، وهـو أقصى ما يمكن أن تصل اليه الدولة من شقاء ٠ وهل يكـون الطغيان شيئا آخر للطاغية نفسه ؟ ٠٠ ولكى يفصل سقراط فى سعادة الطاغية أو شقائه يستحضر « صورة ذلك الذى عاش تحت سقفه والذى عرفه (سقراط) فى حياته الخاصة عاريا عن نقابه وعن مظهره التمثيلى » ويذكر هذا الأخـير « أن الطاغية تضطره طبيعة سلطته الى أن يصـبح أشـقى الناس والى أن يجعل الذين يحيطون به أشقياء مثله » ٠

ان أفلاطون الذى يحلل الطغيان ويحكم عليـه فى شىء كثير من العنف نراه مع ذلك يحلم ان لم يكن يأمل فى استخدام هذا الطغيان في سبيل تحقيق غاياته ٠ ويتساءل أفلاطون فيما قبل أى فى الكتاب السادس من هـذه المحاورة ، هـل يستحيل اطلاقا أن يولد أبناء الملوك والسـلاطين مفطورين على روح فلسفية ؟ ان البيئة تفسدهم : ليكن هذا ولكن هـل لانسان أن يؤكد أن أحدا لن ينجو من هـذا الوسـط ؟ ٠٠ ما أيسر ما يتوصل الى اقناع الشعب! لأن للشعب روحا طيبة فى الأصل ٠ فلننوره فى رفق دون أن نشتجر واياه ولنرشده الى ماهية الفيلسوف الحق وحينئذ سوف يكلف به ٠

أما عن الفيلسوف ، فنعرف أنه لن يسعى الى فرض السعادة على وطنه عن طريق القوة ٠ هـذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، فان الوطن الجدير وحده بالفيلسوف هو ما

نعتزم ايراد صورته : اذ ليس لهذا الوطن من وجود الا فى ذهننا بل الأفضل من ذلك أن نقول ان مثله « مثل نموذج فى السماء » ، وسواء أكان ممكن التحقق أم كان غير ذلك ، فلن يدبر الحكيم وطننا سواه ٠

خبرة صقلية ودستور المصلح

١ ـ تتويج طاغيـة شـاب

في الفترة التي كان افلاطون يحرر فيها الكتب الاخيرة من محاورة الجمهورية ، وذلك قبـل معـركة لوقطرس بمدة وجيزة ، كأن دنيس الأول حاكم سراقوزا في ذروة المجد ٠

كان دائما حليف اسـبرطة وظل كذلك حتى النهـاية ٠ وانتقمت أثينا من هذا الحلف في تهـكم طالما آلمه ٠ وكانت لدنيس ثقافة حقا : فكان يؤلف بنفسه التراجيديا والأشعار الغنائية وكان يصبو الى مجد أدبي ٠ وحين انحازت أثينا الى جانب اسبرطة عام ٣٦٩ ق٠م ، أرسـل الى أثينا احـدى سفاراته فاكتسب حق المدنيين ٠ وفي أوائل عام ٣٦٧ ق٠م صـار حليفا لهـا : ولعل هـذا يكون السـبب في أن تنـال تراجيديته « دية هكتور » الفوز في موسم الألعاب اللينيـة التي أقيمت في تلك السنة ٠ وتذكر بعض روايات مغرضة أن ما تبع ذلك من لهو ومن مآدب كان سببا في موته ٠ والواقع أنه لم يمت الا بعد ذلك بأشهر عدة ٠

ترك لولده الأكبر دنيس الثاني امبراطورية رائعة ، اذ انخرطت صقلية بأسرها تحت سيادة سراقوزا خـلا الطـرف

الغربي الذى احتفظ به القرطاجنيون ، وشمال كاليبريا الحالية في ايطاليا حتى الخط الذى يمر من تروبيا الى كوترونيا • وكان دنيس الثاني ابنا لدوريس اللاكرونية • ولكن دنيس الأكبر كان قد تزوج كذلك من أرستوماخي أخت ديون • وقد حاول هذا الأخير عبثا ، أثناء مرض الطاغية . أن يمكن ابني أخته هيبارينوس ونيزيوس من المشاركة في السلطة • اذ مات دنيس قبل تحقيق رغباته ولم يرغب القواد الحربيون في الانتقاص من الامبراطورية بتقسيمها. فنادوا بدنيس الشاب ملكا •

وكان أبوه قد ظل بدافع الغيرة محتفظا به بعيدا على الدوام • فكان يشغل اما بأعمال النجارة أو بمحاولات في الشعر حيث أظهر طلاقة • الا أنه ويا للأسف قد أمعن في كل ضروب المجون • وأراد ديون الذى أخلص الخدمة للأب أن ينتشل الأمير الشاب من مزالقه الوعرة ومن براثن رائديه الذين هيئوا له سبل هذه المفاسد • وأمل ديون في الوقت نفسه في أن ينحاز بالسلطان الجديد الى الملكية المستنيرة العادلة التى أصبحت مثله الأعلى منذ أن عرف أفلاطون • لذلك حرر لهذا الأخير أشد رسائله الحاحا وراح يصور له عظمة هذه الامبراطورية وذلك السلطان الذى اكتسبه ديون فيها والسهولة في اصلاح دنيس الذى كان قد اتجه نحو الفلسفة والعلم ، والمعاونة التى سيجدانها في أقارب الأمير من الشباب الذين زاملوه في الدرس راغبين والذين شايعوه مختارين • وأخذ يهيب بالأمنية التى طالما تمناها أفلاطون ــ ألا وهى أن يصبح رؤساء الدولة أو أبناؤهم فلاسفة • وها قد حانت الفرصة أخيرا لتحويل قدرة

طاغيــة شــاب مطيع نحــو الخير ولتــأسيس مدينــة كاملة بوساطته ٠

ولكن أنى لأفلاطون الذى كان دائم الطعن فى الطغيان أن يلجأ مع هذا الى طاغية محاولا تحقيق مثله الأعــلى ؟ ٠٠ أليس فى ذلك تناقض ؟ ٠٠ ــ كلا ــ فالطاغية فى مشروعات أفلاطون ليس الا أداة للانتقال ووسيلة مؤقتة ٠ والطاغيــة هو القوة التى لها وجودها ٠ فاذا استنار واذا كرس نفســه لخدمة الفكرة ، فسوف يتم التحول العســير من الفوضى الى النظام فى أقل وقت ممــكن و بأقل عنف ممــكن « وســوف يصطف المواطنون فى سرعة تحت ارادة الرجل الذى يملك فى يديه القوة والقدوة » وسيطيعونه بالقدر الذى يجعل من نفسه مثلا يحتذى « بممارسته لكل الفضائل » فليس ثمــة حينئذ طاغية أو طغيان ، بل دولة ذات دستور كامل وحاكم فيلسوف ينشىء تابعه أو تابعيه على احترام هذا الدستور ٠ وجد أفلاطون فى هــذا استدلالا صحيحا وصادقا ٠ ولــكن خبرته فى صقلية ستثبت له اثباتا قاطعا أن أعلى الاستدلالات درجة فى المنطق لا تنطبق على الواقع دون تعديل ٠

كان أفلاطون يبلغ عامه الثالث والستين ، حينما دعاه ديون الى بلاط سراقوزا ٠ وكان نفوذه وبعد صيته عظيمين لا فى أثينا فحسب ، حيث كان نجاح « المفــكرين وصــغار المفكرين » ، كما ذكر أرستوفان ، دائما أقل بكثير من نجاح الجمعيات والحديثين ، بل فى اليونان بأسرها ٠ وقد جاءه الطلبة من كل حدب وصوب من ميجاريا أو من أخية وأركاديا ومن ايليديا ، ومن جزائر لســبوس وقبرص ، ومن مــدن آسيا كترواد وفريجة وبونتا ٠ وكانت لوقريدا ومقدونيــا

وتراقيا تبعث اليه كذلك بشبابها الممتاز · وما ان كاد يعود طلبة الإكاديمية الى بلادهم ، حتى يقوموا فيها بدور سياسى فى أغلب الأحيان · فبرز منهم كثيرون فى التشريع واشتهر آخرون بالدفاع عن الحرية ضد الطغيان · وكان ممن يستمعون لأفلاطون فى ذلك الحين ايفريوس من آوربا فى أيونيا ، الذى سرعان ما ظفر بنفوذ عظيم فى بلاط مقدونيا تحت حكم برديكاس ، والذى لابد وأن يكون قد مات أثناء دفاعه عن استقلال اليونان ضد فيليب ·

وأخيرا ، كان أفلاطون قد نشر فى تلك الحقبة ما يقرب من عشرين محاورة · وجاءت من بعد مؤلفه الضخم « الجمهورية » محاورة « فدرس » شرعة واضحة فى الحب الصافى واللغة العذبة ومن المحتمل أن تأتى بعد ذلك دراما « بارمينيدس » ؛ معجزة الميتافيزيقا ؛ تلك المحاورة العويصة الآخذة بمجامع القلوب · ولما بلغ قمة المجد الأدبى أخذ يتحول شيئا فشيئا نحو المشاكل المنطقية والمنهجية · وانغمس كذلك فى تاريخ الفكر المتقدم عليه · وحاول أن يخط طريقه فى وضوح بين أولئك الذين لم يروا فى العالم الا تغيرا وحركة وأولئك الذين اعتبروا حركة الأشياء وحركة السماوات نفسها مجرد خداع · فأخذ يفكر فى محاورة طويلة يعرض فيها بأسلوبه الخاص نشأة العالم وتكوينه · وعلى هذا النحو حل أفلاطون محل عبث أصحاب الأساطير الأقدمين وأصحاب الكونيات الغابرين ، وسخر أحسن ما وصل اليه العلم الحديث ذلك العلم الكافر عادة فى خدمة مثاليته ·

أكان عليه اذن ، كما تذكر الرسالة السابعة « أن يهجر هذه الأعمال التى لا تخلو من مجد ؟ » ان الحياة فى ظل

الطغيان تتناسب قليلا مع مزاج المؤلف ومع رئيس المدرسة ومع الحالة التى كان عليها · ولكن أليس الاعراض عن الظرف المناسب معناه « التحول الى اللغو » الذى لا يصلح الا لانشاء مدن فى الهواء ؟ ·· ـ أليس فى ذلك غدر بصداقة ديون وصداقة الفلسفة في وقت واحد ؟ ·· ـ عزم أفلاطون على أمر ما · فعهد بالمدرسة الى أحد طلبته الأقدمين هو اسبيزيبوس ابن أخته فتونى ، أو ربما عهد بها الى أيودوكس ، ثم رحل في ربيع عام ٣٦٦ ق·م فيما يحتمل ·

٢ ـ أفلاطون ودنيس الأصغر

استقبله دنيس الأصغر في كثير من الاجلال ، اذ كانت هذه الزيارة ترضى فيه الفضول والكبرياء معا · ولكنه وجد القصر مليئا بالانقسامات والدسائس · وقد خشى نفوذه أنصار الطغيان التام فأعادوا ، رغبة فى مقاومة هذا النفوذ، المؤرخ فيلستوس من منفاه ، وكان قد أبعده دنيس منذ عشرين عاما خلت · عاون فيلستوس هذا الأخير على أن يصل الى السلطة وكان تام التأهب لأن يخلص لابنه ولأن يؤيده فى الطريق المستقيم · وآخذت الدسائس تتزايد ضد ديون · وكان دنيس الأصغر ميالا للاستماع لها ـ فقد كان يعرف المحاولات الفاشلة التي بذلها ديون لصالح ابنى أخته، ولما كان قد ورث الامبراطورية بأسرها رغما عنه أخذ يعانى فى عسر وصايته السياسية أو الأخلاقية ، ولم يكن يتحمل هذا كله الا بدافع الخوف مثله فى ذلك مثل طفل كبير ·

ومن المرجح أن أفلاطون نزل ضيفا على ديون · فقد كانت الدسائس على أشدها فى القصر · وهنا قد حصل حزب

فيلستوس بعد مضى ثلاثة أشهر على الحجة التى كانوا يبحثون عنها . كانت جميع المعاهدات قد نسخت بمجرد تغير شكل الحكم وكان من الواجب أن تعقد مفاوضات مع القرطاجنيين بصفة خاصة . فعثروا خلسة على خطاب من ديون ، الذى كان هو الوسيط على الدوام فى مثل هذه المفاوضات فى الحكم السابق ، يلتمس فيه من القرطاجنيين ألا يدخلوا فى أية مفاوضة لا يكون هو ممثلا فيها . فنادى أعداؤه بأن ثمة خيانة واعتبروا مشاريعه الاصلاحية مؤامرة ضد نظام الحكم . فاستقل ديون سفينة صغيرة نقلته الى ايطاليا .. ورحل من هناك الى كورنثوس . ورافقه أخوه ميجاكلس أو لحق به .

وكان انفعال أصدقاء ديون عنيفا . وذاع فى سراقوزا أن أفلاطون قد أعدم ؛ باعتباره مدبر المؤامرة المشهورة . ولكن دنيس حين تحرر ، ما كان ليقبل أن يحسب عدوا للفلسفة . فان احتفاظه بأفلاطون قد جعل نفي ديون يظهر على أنه مجرد ابعاد وابعاد وقتى فحسب، بل وربما كان يحتفظ به كرهينة . فلم يكن ديون ليجسر على القيام بأى عمل طالما كان يعرف أن أفلاطون تحت رحمة دنيس . وأخذ هذا الأخير يلح على أفلاطون الحاحا شديدا فى البقاء ، ولكى يجعل هذا الالحاح على أعظم درجة من الاقناع سلب أفلاطون كل وسيلة لمغادرة سراقوزا بأن ساقه الى الأكروبول وجعل له فيه مقاما . وكان دنيس الكبير قد أقام قصره فى جزيرة أورتيجى التى يصلها برزخ بالمدينة وهناك كانت كنوزه وعائلته وجنوده المرتزقة . فكانت كل محاولة للخروج من المدينة دون تصريح خاص لابد وأن تذهب أدراج الرياح . ومن ثم كان أفلاطون ضيفا سجينا .

ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان ، اذ أراد دنيس وهو الرجل الغيور بدافع الزهو ليس الا أن ينتزع من ديون صداقة أفلاطون وأن يستأثر بها لنفسه ، وحاول أن يكتسب الفيلسوف الى جانبه ففتح له أبوابه مرات متكررات وأنصت اليه وأخذ يشارك بنفسه في العمل ما وسعه ذلك · ولم يجسر مع ذلك أن ينخرط فى مدرسته بصورة جدية ، اذ خشى ان يسلم نفسه بذلك للوصاية التى أعدها له ديون فى كثير من البراعة على حد تعبير رجال القصر · وعلى العكس من ذلك ، تعلق أفلاطون في تخيلاته بأمل ارجاعه الى الفلسفة والتوفيق بينه وبين ديون يوما ما ·

ولكن تلك النفس المتبدلة ، نفس دنيس المزهو الضعيف انفلتت من قبضة أفلاطون · وأخيرا وجد دنيس نفسه قد شغل بأمر حرب من الحروب ، لعلها تكون الحرب ضد اللوقيين ، فأطلق سراح الفيلسوف بعد أن تقاضاه وعدا بأن يعود بمجرد أن تضع الحرب أوزارها ووعد هو نفسه وان لم يكن صادق العزم فى انجاز ما وعد ، أن يدعو ديون فى نفس الوقت الذى يدعو فيه أفلاطون ·

عاد هذا الأخير اذن الى الأكاديمية فوجد فيها من بين الطلبة الجدد شابا يبلغ ثمانية عشر عاما سوف يصبح تلميذه المثابر لمدة عشرين عاما · ذلك هو أرسطو من استاجيرا ابن أحد أطباء ملك مقدونيا أمينتاس الثانى · وبمجرد أن عاد أفلاطون استأنف العمل فنشر محاورة تيتاوس ان لم يكن قد نشرها من قبل ، وألف محاورة السفسطائى · وقد كان لهذه المحاورة هى والدروس التي تشرحها فضل توجيه أرسطو نحو المنطق الذى سوف يصبح مؤسسه من بعد · أما حججه الشهيرة

ضد نظرية الحقائق المعقولة أو المثل ، فقد استعارها أرسطو كذلك من أفلاطون نفسه ومن محاورة بارمينيدس •

وأخيرا ، أصبح للأكاديمية في شخص ديون عضو مبرز • ولما لم يكن منفيا بصفة رسمية أخذ يتلقى ايراده بأسلوب راتب فكان يصرف ببذخ • وقام بعدة رحلات زار خلالها البليبونيز وأنعمت عليه اسبرطة بحق المواطن وشارك في الأعياد الكبرى وصادق كثيرين وجدد العهد مع آخرين • وكان أليفا في الأكاديمية بوجه خاص • ثم صار مواطنا أثينيا فابتاع قطعة أرض أهداها لسبيزيبوس فيما بعد وتبرع لأفلاطون بنفقات حفل عام • وكان يقطن منزل كاليبوس الذي راده على أسرار أيلوزيس • سعد أفلاطون بأن يرى ديون محاطا بطائفة من الشباب الحي ، اذ ان مزاجه الحاد كان في حاجة الى آن يعدل وكانت صلابته المعتادة في حاجة الى أن تلطف •

استمر دنيس في تلك الأثناء في حب استطلاعه الفلسفي كما استمر في استدعاء الفلاسفة • فحضر من أثينا سفسطائي يدعى بوليكسين وأبشينوس السقراطي من أسفتوس ، وهو الذي رأيناه لدى أقليدس في ميجاريا مع بعض الطلبة الآخرين • وحضر أرستبوس من قورينا • وكان ماجنا مرحا قابلا على الدوام لأن يلائم بين نفسه وبين الأحوال التي تحيط به ، وقد بشر ، قبل أبيقورس بمدة طويلة . بأن اللذة هي الخير الأسمى • وكان حقا أصلح رفيق لدنيس • وقد أفاد منه دون حرج وما كان لأى عمل دنيء أن يروعه مادام في مقدوره أن يثأر لنفسه بنكتة لاذعة •

ولكن دنيس كان يطمع في أكثر من ذلك • فحاول أن يفرض نفسه على ضيوفه وزواره العابرين ، بما وعاه من

فتات العلوم التى تخلفت فى ذاكرته من دروس أفلاطون ومحاوراته ومحادثاته · وشرع كذلك فى كتابة بحث عميق فلما تولاه الارتباك فى سرعة طرق كل وسيلة ممكنة لاستدعاء أفلاطون · فكتب اليه وجعل أرخيتاس وأصدقاءه من تارنتا يكتبون له وأوفد اليه بعض الصقليين وأخيرا بعث اليه بسفينة لتقله · ووعد أفلاطون بأن حضوره سيزيل كل ما بينه وبين ديون من مشاكل ؛ ولكنه لم يقلع عن اهمال هذا الأخير · واذ آمن ديون فى ثقة كما آمن أرخيتاس كذلك بصدق « فلسفة » دنيس ، ولما كان فى نفسه حنين الى سراقوزا شدد على أفلاطون فى قبول الدعوة · وأمام هذا الاغراء رحل أفلاطون غير راغب فى الرحيل : فقد بلغ السادسة والستين ·

وسرعان ما تقلب عليه دنيس فخبت جذوة الحكمة التى كلف بها هذا ، أمام خطة فى العمل جدية ومجهود كان عليه أن يأخذ به نفسه · ولم تمنعه ميوله الطيبة نحو ديون من أن يوقف ارسال ايراداته · ولما كان الصيف الذى جلب معه الرياح المناسبة للابحار ، رغب أفلاطون فى الرحيل بعد أن تبدد وهمه · ولكن دنيس أبقاه عن طريق وعود جديدة وكان أفلاطون بدوره يظن أنه سيصل الى انقاذ ثروة ديون · ومع هذا فقد نشرت السفن شراعها · ولما زال هذا الخطر ؛ تملك دنيس أفلاطون من جديد ونكث عهده وأقدم فى جرأة على بيع ممتلكات ديون · وحيا أفلاطون حياة مملولة « كالعصفور السجين » · واستمر الفيلسوف والطاغية يظهران أمام الجمهور بمظهر الأصدقاء · ولكن أثار غضب دنيس تدخل أفلاطون لصالح هرقليد الذى اتهم باثارة الفتنة بين صفوف

المرتزقة · وتمكن هرقليد من الهرب ولكن أفلاطون أقصى الى نفس موطن المرتزقة وكان فى اصلاح الطغيان تهديد لمصالحهم الشخصية ومعنى هذا أنهم لم يكونوا ليرضوا قط عن ذلك المبشر ، ومن ثم عاش أفلاطون فى خطر تام · وتمكن لحسن الحظ من اخطار أرخيتاس فأرسلت له حكومة تارنتا سفينة ذات ثلاثين مجدافا وأشعرت دنيس بأن رحيل أفلاطون أمر لا محيص منه ·

٣ ـ ديون فى سراقوزا

تقابل أفلاطون وديون فى موسم الألعاب الأوليمبية فى نهاية هذا الصيف من عام ٣٦٠ ق·م· ولم يكن لديون، بعد أن تحرر من كل ممتلكاته ، من عون سوى السلاح · هذا وقد عرف أن دنيس كان سيزوج أخته لأبيه ، وهى أرتيه زوجة ديون ، من تيموقراط · فلم يبق أمام ديون الا الأخذ بالثأر· كان أفلاطون قد نزل على دنيس ارضاء لديون ورغبة فى مساعدته ، وهو على استعداد على الدوام لأن يتدخل اذا سنحت الفرصة محاولا التوفيق ، ولكنه لم يعد فى حالة بحيث تسمح له سنه أو طبيعته بأن يخرج عما هو فيه من هدوء وطمأنينة · ولكن قلبه كان متعلقا بديون · فسمح لطلبة الأكاديمية بالانخراط فى خدمته وكان فى ضمنهم اسبزيبوس وكاليبوس وأخوه فليوستراتس واذيموس من قبرص ، وتطوع من دونهم كثيرون · وتحركت الحملة التى لم تكن تزيد عن ثمانمائة رجل وخمس سفن فى شهر أغسطس من سنة ٣٥٧ ق·م ·

أحبط ديون خطة فيلستوس الذى وجه همه نحو البحر الأدرياتيكى بأن اتخذ طريقه فى البحر الأكبر · وهبط على

الشاطىء الجنوبى • ولما علم أن دنيس كان فى ايطاليا أسرع فى اتجاه سراقوزا وجمع خمسة آلاف رجل فى طريقه اليها • وفتحت أمامه سراقوزا الأبواب على مصاريعها فدخلها دخول الظافر ، يؤيده أخوه ميجاكلس وكاليبـوس الأثينى وأعاد الحرية للشعب ، فنادى الشعب ــ بدوره ــ بديون وميجاكلس « رئيسين مطلقين للجيش » •

حوصر تيموقراط فى قلعة أورتيجى ولكن دنيس حضر لنجدته بعد سبعة أيام • وسيطر من هنـاك عـلى البحـر • وأشرف كذلك على المدينة وأخـذ يبـذر بذور الشقاق بين شعب سراقوزا وديون • هذا وقد كان ديون رئيسا منتخبا • ثم حضر هرقليد ، الذى كان أفلاطون قد أنقذ حياته ، فى يوم ما من البلوبونيز تصحبه فرقة من الجند وبعض السفن • فانتخب رئيسا أعلى للقوات البحـرية • وكان لديـون من الرعونة ما جعله يحتج على هذا الانتخاب ثم يعود بنفسه الى تعيين هرقليد فى المنصب • وكان هرقليد رأسـا مفـكرا ولكنه كان دساسا لا يمل الدسائس وخطيبا مفوها • وقد تمكن اما عن طريق الصدفة أو عن جدارة من هزيمة أسطول فيلستوس فى الميناء الكبرى حين عاد الأسطول من الأدرياتيك • وأسر فيلستوس ثم أعدم • وفر دنيس الى ايطاليـا تاركا القلعة فى حراسة ابنه الأصغر أبولوقراط •

أضعف هرقليد مركز ديون الى حد كبير حتى عزل هـذا الأخير والتجأ الى بلدة ليونتينوا • ولكنه لم يلبث أن عاد منها سراعا اسـتجابة لدعـوة أهـل سراقوزا وهرقليد نفسـه لانقاذهم : فقد تلقت القلعة مددا من ايطاليا • وبينما كان الناس مستغرقين فى الاحتفال بعيـدهم وقد لعبت الخمر

برؤوس القواد والجنود ، اشعل مرتزقة دنيس النار في جزء من المدينة وأهرقوا دماء أهليها • وكان ديون يستطيع أن ينفي هرقليد ولكن سماحة نفسه كفيلسوف أبت الا أن تعفو عنه • ولم تكن لديه ويا للأسف أية مرونة أو أية مقدرة على استهواء الشعب • فأتيح لهرقليد أن يجعل منه شخصا مبغوضا • أراد ديون أن يشرع دستورا معتدلا نافذا ، واراد شعب سراقوزا أن يحكم نفسه وأن يلهو في حرية • وكان أبولوقراط قد مل البقاء في القلعة فانتهى به الأمر الى التسليم ، فلم يعرف ديون كيف يحقق الرغبة التي افصح عنها الشعب وهي أن يحطم معقل الطغيان هذا وبذلك أفسح مجالا لارتياب أحسن هرقليد استغلاله ؛ فأخذ هذا الأخير يدعو الى الديمقراطية والى توزيع الثروات كما حاك لدسائس لديون لا عند الشعب فحسب ، بل وعند دنيس أيضا ، وأعيت ديون (تلك الدسائس) فكان أن أخذ بنصح أصدقائه وسمح باغتيال هرقليد اغتيالا دنيئا ، بينما كانت لديه فرص عديدة تمكنه من استصدار حكم قانوني باعدامه •

وفوق ذلك ، فان مشروعاته نفسها كان من شأنها أن تسوقه الى الطرق التي يسلكها الطغاة عادة • فلكي يتمكن من فرض اصلاحاته ظل محتفظا بالجنود المرتزقة ، ولكي يؤدي لهم أجورهم احتكر أول الأمر أموال أعدائه ثم وجد نفسه بعد ذلك مضطرا لأن يثقل كاهل أنصاره بالضرائب الفادحة • وكان ديون يثق ثقة مطلقة بكاليبوس فاستغل هذا الأخير تلك الثقة ولعل دنيس قد أغواه ، وعمل على القضاء على ديون فأثار كاليبوس وأخوه فيلوستراتس ، ضد ديون ، أصدقاء هرقليد القدماء كما أثارا من لم يرضهم

الحكم فلما وقع ديون على حقيقة الامر لم يشأ أن يقاتل قائلا : « الا أن الحياة لم تعد تحتمل اذا كان على أن أقتل الآن أصدقائى بعد أن قتلت هرقليد » • ثم اغتاله فى قصره بعض المرتزقة ممن استأجرهم كاليبوس وذلك عام ٣٥٤ ق٠م • وكان قد بلغ عامه الخامس والخمسين •

ونودى بكاليبوس بدوره محررا للشعب وبذلك صارت له السلطة • ثم ثار أصدقاء ديون للمرة الأولى وكان من نتيجة هذا أن خر أوذيموس صريعا فى المعركة ، وأهدى اليه أرسطو محاورته « فى النفس » • وأخيرا ، توصل هيبارينوس أحد ابنى أخت ديون الى استرداد سراقوزا • وتوقفنا كل من الرسالتين السابعة والثامنة على مبلغ ما كان يساور أفلاطون من قلق ، فى تتبعه لهذه الحوادث جميعا • وتجيب هاتان الرسالتان على أصدقاء ديون الذين يسألونه النصح بعد ثورتهم الأولى وبعد انتصار هيبارينوس• ولكن هاتين الرسالتين تتوجهان فى الواقع الى الجمهور وهما : دفاع وبيان سياسى فى الآن نفسه • يروى فيهما أفلاطون رحلته الأولى وعلاقته بديون ونزوله ضيفا على قصر دنيس الأصغر مرتين متتاليتين ومحاولاته التى منيت بالفشل فى سبيل تدارك الخصومة الحادة بين ديون ودنيس • وذكر فيهما الآمال التى علقها على ديون والتى خيبتها جريمة أحد الخونة • وأخيرا ، يرسم فيهما سبيلا للسلوك ليتبعه أصدقاؤه فى سراقوزا ويصيغ من جديد مبادىء الحكمة السياسية التى لن يتحقق بدونها سلام للدولة •

٤ ـ مشروع حكومة معتدلة

يميز فلسفة أفلاطون كلها اتجاه مزدوج : الرغبة فى الكمال المطلق فى المعرفة وفى العمل والتسليم بالقضاء الذى لا مفر منه ؛ لكى يتمكن الانسان على ضعفه من تحقيق أكبر قدر ممكن من هذا الكمال المثالى . ان الرؤية السعيدة والدأب على التحليل والعلم الصادق والرأى الحق ، والهروب من هذا العالم والتكمل بالحقيقة وحياة التأمل والرسالة التى يتعين على الانسان أن يأخذ نفسه بها ، كلها أشياء جوهرية تواجه كل تفكير فلسفى أو دينى يتوخى التسامى بالانسان . فلابد من أن نتشوف الذرى ونهيىء أنفسنا لاعتلاء القمم . وانا لنلمح فى أفلاطون شاعرا وشخصا كشفت عن بصيرته الحجب . وانا لنطالع فيه أيضا ذلك الحكيم الذى جبل على الاعتدال وعلى النصف فى الحكم ، وتدلنا الرسائل الى أصدقاء ديون ومحاورة السياسى والقوانين على أن أفلاطون بعد أن تقدمت به السن وحنكته التجارب ، أخذ يميل شيئا فشيئا نحو ما كان يدعوه هو نفسه « بالمراتب الثانية » .

ان الغرض من محاورة السياسى هو تعريف رجل الدولة . فاذا أخذنا النظرية على حرفيتها ، كان العلم دليلا لا يخطىء على الحاكم الصالح . واذ كان الحاكم طبيب المدينة فليس يعنيه أن يتقيد بالقواعد والقوانين التى يحول ما فيها من اعنات وصلابة من المواءمة بينها وبين واقع الحياة الجارية . وليس ثمة قانون الا ما لديه من علم محكم

مرن صادق على الدوام • وهو فوق ذلك لا يلتمس تأييداً من أحد : فله ان يستخدم الاقناع أو القوة حسبما تقتضيه الحاجة فان خيرية فعله ستكون معيارا لما له من حق فى جميع الأحوال • والحكومة التى يرأسها هى وحدها الحكومة الكاملة ، أما الحكومات الأخرى فليست سوى عصابات •
ها هى نظرية متسقة تمام الاتساق وانا لنجد أفلاطون الذى كان يكلف بالتوسع فيها يصنف هذه الشيع أو هذه الهيئات الموجودة : فان وصفه للديمقراطية المتطرفة هو هجاء لاذع نستشعر فيه أيضا الأثر السيىء الذى تركته محاكمة سقراط فى نفس أفلاطون • ولكن أنى لنا بهذا الملك النموذجى ؟ « فما حدث قط أن نشأ ملك فى المدن كما يحدث فى خلايا النحل ثم أصبح بمجرد ظهوره متفردا بقوة فى الجسم وأصالة فى النفس » سينصب الناس يقينا هذا الملك الخير الذى لا يخطىء ولكن أحدا منهم لا يستطيع أن يعتقد أن انسانا له من القدرة ما يعينه على حمل هذا النفوذ الذى لا حد له • فهم يدركون أن الرئيس الذى لا يقف فى سبيله شىء سينتشى بسطوته الى الحد الذى يفقد معه كل ما لديه من روية وما يتحلى به من صفات انسانية • فلزام علينا اذن أن نخضع لفريق أكثر تواضعا وأن نقدس حكومة القانون •

وتذهب الرسائل الى نفس هذا المذهب « ان الخضوع لله أمر مألوف ، ولكن الخضوع للانسان يخرج بنا عن جادة الصواب » • وترسم هذه الرسائل لأحزاب سراقوزا على اختلاف أنواعها خطة حكومة يسودها الوئام والسلام • فينبغى أن نعيد العمران الى المدن اليونانية وأن نجمع بينها فى اتحاد كبير • وذلك بأن يحكم سراقوزا ، وهى الأولى بين المدن المتساوية ، ثلاثة ملوك يمثل كل منهم أحد الأحزاب

التى تتنازع الحكم · تكون لهم سلطات دينية على وجه الخصوص ؛ لأن السلطة المدنية سيشرف عليها خمسة وثلاثون من القائمين على رعاية القوانين · وسوف تتحقق بين جميع المواطنين مساواة ومشاركة تامة فى الحقوق · أيعدو هذا النظام السخى أن يكون حلما من أحلام الفيلسوف ؟ ·· ومع هذا فهو يشبه الى حد كبير ذلك النظام الذى حققه تيموليون الكورنثى بين عام ٣٤٥ وعام ٣٣٧ ق·م · وقد وجد أفلاطون سياسته المثلى فى هذا البطل الذى اعتزل الديكتاتورية وآثر أن يموت كفرد بسيط ، بعد أن حرر صقلية وأقام ديمقراطية معتدلة فى سراقوزا ·

وأخيرا ، فقد كرس أفلاطون السنين الأخيرة من حياته فى تأليف سفر ضخم هو محاورة القوانين التى لم يتسع له الوقت لأن ينشرها بنفسه · عرض فيها فى تفصيل نموذج الحكومة التى وان لم تكن أفضل الحكومات الا أنها « تقرب من أفضلها قدر المستطاع » · ومحاورة القوانين هى قانون دولى دينى مدنى وجنائى · ويمهد لكل قانون فى هذه المحاورة بعرض للدوافع والروادع الأخلاقية ، ذلك أن المشرع الأفلاطونى هو مرب : يشرح ويقنع قبل أن يأمر ·

لم يتخل أفلاطون عن مثله الأعلى · فما الذى تتطلبه اذن اقامة دستور كامل فى أسرع وقت ممكن ؟ ·· الأمر يتطلب وفاقا بين طاغية شاب فيلسوف ومشرع حكيم · ولكن أفلاطون كان يزداد اقتناعا بأن الطاغية الفيلسوف لا وجود له وأن السلطة المطلقة من شأنها الفساد · ألم يكن أفلاطون يفكر حقا فى الماضى البعيد ، ألم يعدل من موقفه حينما أخذ على بعض مشرعى العصور الأولى اغراقهم فى الخيال بقولهم :

« ان دين الوعد كفيل بأن يحصر فى حدود عادلة رغبات أمير شاب ورث سلطة يمكن أن تصل به الى الطغيان ؟ » ألم يكن كذلك يريد « ألا نقيم سلطة ما لم تكن معتدلة » . وهو يكافح الى جانب ذلك كل حرية متطرفة . أما الدستور الحكيم ، فيجب أن يجمع بين الملكية والديمقراطية فى آن واحد ، أما الابتعاد عن هذا الوسط العدل فمعناه أن ننحو نحو الاستبداد كما فعل الفرس ، أو ننحو كما فعل الأثينيون نحو الفساد المطلق . ويقول أفلاطون عن الديمقراطية الأثينية انها أصبحت مهزلة مسرحية . .

أما الحكومة التى يقترحها على غرار الأرستقراطية اللاقوديمونية وديمقراطية سولون فهى كما كان يقال فى القرن التاسع عشر حكومة دستورية مقيدة . وتتكون من سبعة وثلاثين مشرفا على القوانين وثلاثة قواد ومجلس شيوخ أعضاؤه ثلاثمائة وستون . ينتخب المواطنون جميعا كل هيئة من هذه الهيئات . ولكن المواطنين ينقسمون الى أربع طبقات تبعا لما يفرض على ثرواتهم من ضرائب ، ولما كان التصويت لزاما على الطبقتين الأوليين فقط ، فان امتناع الطبقتين الأخريين فى أغلب الأحيان عن التصويت سوف يخفف من حدة نظام الانتخاب العام . ويدلنا الدور الذى تلعبه الملكية فى هذا النظام على أن أفلاطون قد نبذ الشيوعية بل ونبذ الشيوعية الجزئية التى نادى بها فى محاورة الجمهورية ، وهو وان كان لايزال ينظر اليها باعتبارها المثل الأعلى الا أنه قد علم أن تطبيقها متعذر « بالنسبة لأناس ولدوا ونشأوا فى مثل الحال التى هم عليها اليوم » فعاد الى اقرار الزواج وجعله فرضا على كل مواطن . وكانت الأخلاق منحلة

في عصره الى حد لم يجرؤ معه على تشريع قوانين تمنع الحب المنافى للطبيعة • ولكنه يحكم عليه حكما قاسيا وباستناده الى اجراءات متزنة يريد أن يخلق رأيا عاما يرى فى هذه الرذيلة عارا وفحشا • وان ما قاله عن الغاية من الزواج وما له من قيمة يجعلنا نفكر فى أغلب الأحيان فى وصايا الأخلاق المسيحية •

ولكن ويا للأسف لا يزال أفقه محصورا بالحدود الضيقة التى كانت فى المدينة اليونانية ، فهو يذهب الى حد القول بأن الدولة يجب أن تحتوى خمسة آلاف وأربعين أسرة فقط، وأن تتخذ الحيطة لمنع تزايد السكان السريع • ولكنه كان يعنى هنا الهجرة بوجه خاص ، ولم يذكر شيئا كما ذكر فى محاورة الجمهورية عن القاء الأطفال فى العراء أولئك الأطفال الذين لا ترى الدولة حاجة الى تربيتهم • وان المرء ليقشعر حين يصف أفلاطون وأرسطو فى غير ما حرج طرائق عملية كهذه • ولا غرو ، فقد كانت مثل هذه الطرائق شائعة فى اسبرطة وفى أثينا نفسها • ويبدو أن الحياة الانسانية لا يمكن أن تكون لها قداسة قبل أن يفتديها مخلص الهى •

٥ ــ الأسس الروحية للدولة

وبالرغم من ذلك ، أحب أفلاطون الأطفال ورغب كذلك فى أن يظل الطفل بين أحضان ظئره وسيتوفر مشرعنا على الاهتمام بصحة الأطفال وعلى ما يلابس التكيف الجسمى والأخلاقى من أزمات وسيهتم بالألعاب وبالرياضة البدنية وبالرقص والولائم • نعم سيعنى بهذا كله وسيدخل فى

التفصيلات ويعتذر مبتسما عند الحاجة عن تلك التدقيقات الصارمة • وكان يقر بما للكوميديا من فائدة فى تقويم الأخلاق والعادات ، ومع ذلك لم يكن أقل اعترافا بأن حرفة مؤلفى المهازل حرفة دنيئة حرمها على المواطنين • وهو وان لم يستبعد شعراء التراجيديا الا أنه قصد فى وضوح الى عدم السماح لهم « بأن يروجوا بين الناس تعاليم تتعارض مع ما يبشر به المشرع » • فجعل هذه الأشعار تمر اذن « على الرقابة قبل أن تنشر » • وكان يصر على تدريس علم الأعداد والحساب والهندسة والفلك : فيجب على كل رجل حر أن يعرفها معرفة ابتدائية على الأقل • وأخيرا ينشىء افلاطون وزارة للتعليم : فكان « على الرؤساء أن يقترعوا فى نهاية كل خمس سنوات من بين المشرفين على القوانين من يتوسمون فيه القدرة على تولى أمر تربية الشباب » •

ولم ينس أفلاطون الطابع الفلسفى والاجمالى فى التعاليم التى لقنها لحراس المدينة المثلى فى محاورة الجمهورية • وفى هذه المخاورة كذلك يجب أن « يبين صفوة الحراس عن ذكاء » • فلا ينبغى عليهم أن يقفوا عند تحصيل العلوم التى يتلقاها الأحرار فى عمق فحسب ، بل عليهم فوق ذلك أن يلقوا بالا لما بينها من علاقات متبادلة وخاصة علاقتها بالفضيلة وبالجمال وبالخير • فهو فى آخر الأمر العلم الذى يتوج العلوم الأخرى وهو ما يسميه أفلاطون « بالالهيات » • فعلى رؤساء الدولة أن يبرزوا فى هذا العلم « اذ لا يمكن أن نعهد بحكم المدينة الى أناس لا يعرفون كل ما يمكن معرفته عن الآلهة » • ذلك أن الجهل بمثل هذه الأمور يورث الالحاد، وهذا بدوره يحمل على العنف وعلى الاستهانة بالقوانين •

الا أن هذا الجهل ويا للأسف شديد الانتشار • ويحزن أفلاطون ويحنقه أن يرى من الضرورة بمكان أن نثبت اليوم للشباب وجود الآلهة ووجود العناية الالهية • أصبح هذا الأمر لا محيص عنه ما دامت هنالك نظريات تدعى أنها نظريات علمية قد لقنت كل غاد أن العالم ليس نتيجة عقل الهى ؛ ولكنه من صنع الطبيعة والصدفة فحسب !! •

شغلت هذه المسائل أفلاطون منذ أمد بعيد • فهاجمها فى فقرات من محاورة السفسطائى • وذكر فى محاورة فيليبوس « ان نفسا عالية وعقلا ساميا يدبر نظام هذا العالم » • بل لقد ذهب الى أبعد من ذلك : فقص فى محاورة تيماوس قصة حدوث هذا العالم أو الله المرئى صورة الله المعقول • ان الله خير ولما كان منزها عن الحسد ود لو يكون كل شىء على صورته الى أقصى حد • فتناول المادة اذن وهى فى فوضى بالغة وظلمة مضطربة ، وهذا ما جبلت عليه ، فنفخ فيها العقل والغائية وهكذا جعل منها نظاما وعالما وهو أحسن عالم وأكمل عالم ممكن •

ومحاورة تيماوس محاورة علمية • يصحح فيها أفلاطون العلم المادى فى زمانه ؛ ليفيد منه فى تفسيره للكون وفى تفسيره للانسان • ويصحح فيها كذلك الكونيات القديمة وبدلا من أن يحذو حذو هذه الكونيات فيجعل أصل الأشياء مبدأ أعمى غير مرئى وبدلا من أن يقول بسبق السماء والأرض فى الوجود ثم يتبعهما بالآلهة وبالعقل الالهى ، قال أولا بعلة عليا وهى الله الذى خلق بفضله النفس التى تتصور النظام الأمثل فتفرضه على المادة • ولكننا لا نجد عند أفلاطون تعريفا واضحا لهذا الاله كالذى ينشده القراء الذين

ألفوا وضوح اللاهوت المسيحى : فهذا تعريف لم يصل اليه أى مفكر قديم سواء أكان سابقا له أم لاحقا عليه • ومع ذلك، فان الله الذى قال به أفلاطون هو الكائن المطلق والعقل الكامل والخير الشامل فى آن واحد • فلئن كان العالم الهيا فما ذلك الا « لأن الله يحل فيه » • وهذا الحضور الالهى هو النظام الذى أوجده عقله المبدع للنظام • « فحيث لا يوجد الله لا توجد الا الفوضى والتشويش » •

ليس الايمان بالله لدى أفلاطون مجرد مظهر • وليس هو تظاهر المصلح السياسى حين يلقن الشعب صيغا ليست صادقة الا باعتبار فائدتها الاجتماعية • فأفلاطون يؤمن بالله كما يؤمن بحقيقة وعدالة لا تتبدل • ولم يكن أقل من ذلك اعترافا بما للمعتقدات الدينية من حسنات وضرورات اجتماعية • ولم يقنع كذلك بالدعوة اليها ، بل أخذ يفرضها فرضا • ففى المدينة التى تصفها محاورة القوانين سيعتبر عدم الاعتقاد فى وجود الآلهة وفى عنايتهم وفى عدالتهم التى لا تخطىء ضربا من الاجرام فى حق الدولة • وسوف يحكم على المذنب بالسجن أو بالاعدام أو بالنفى المؤبد تبعا لشناعة الاثم الذى يقترفه •

ولكن أفلاطون رفيق بغير المؤمنين الذين سلمت طويتهم وكانت لهم قلوب لا تعرف الزيغ ولا تقرب الظلم • وهو رفيق أيضا بالسذج ولا يضن بالعفو الا على المخادعين المتدينين وعلى السياسيين وعلى الدجالين والسفسطائيين والطغاة • وأخيرا ، يعلن أفلاطون بأعلى صوته أن القوة عاجزة عن أن تفرض الحقيقة اذا لم يعاونها الاقناع بتأييده ، وهو يوقف كتابا بأكمله من محاورة القوانين هو الكتاب العاشر

على النصح والاقناع • ولما لم يكن يتوجه هنا الى الفلاسفة وحدهم ، فهو يتحدث عن الآلهة بقدر ما يتحدث عن اله واحد ويسوق براهين فى متناول الجميع : كبراهين نظام واجماع العالمين • ولكنه يفصل القول فى برهان على درجة من العلم أعلى فضلا عن أنه مؤسس على ظاهرة مرئية : أعنى حركة السماء • كل حركة تفترض وجود محرك وتفترض سلسلة الحركات بأجمعها محركا أعلى• وهذا المحرك لا يتلقى حركته من شىء آخر ، فهو الذى يهب نفسه الحركة • ولما كان كائن واحد هو الذى يستطيع أن يحرك نفسه بنفسه وهو مبدأ لحياة نفسه ومبدأ لتنفس نفسه • فهناك اذن نفس تتولى حركات السماء • وهى لا مادية عاقلة ، خيرة • وهى قدسية تشمل عنايتها كل شىء وتنتظم كل صغيرة وكبيرة فى العالم المادى وفى العالم الآخلاقى فى سبيل الخير العام •

هنالك قطعا نضال أبدى بين الخير والشر ، وان الشر ليظهر غالبا بمظهر الظافر فى الدنيا• ولكن الآلهة يتحالفون فى هذا النضال الذى يحتاج الى « تيقظ بارع » • ولن نذهب الى الاعتقاد بأن الآلهة قد يحيدون البتة عن سبل العدالة أو يتسامحون ان دفع اليهم مال أو تملقهم الأشرار « شأن الكلاب يستهويها لطف الذئاب » • فليس الى حب الله من سبيل الا واحدة هى «أن نعمل بكل ما فينا من قوة كى نتشبه به»• وان القصص ليسوق الينا حديث ملائكة أطهار كانوا فى عهد كرونوس يحكمون بنى الانسان ، على نفس النسق الذى كان يحكم به بنو الانسان الحيوانات المتأخرة عنهم فى الرتبة • ولم يعد الله ينيب عنه أولئك الرعاة الأطهار ، ولكن أصبح الجزء الخالد من أنفسنا ، أعنى العقل ، يصدر

عنه . فالقوانين التى يمليها علينا العقل لنتبعها فى حياتنا العـامة وفى حياتنا الخاصة تقتدى بقوانين العناية الالهية ، وتنحو مثلها نحو نشر النظام والعدالة فى كل مكان شاخصة الى الخير الأسمى على الدوام . الا ان اطاعة هذه القوانين هى بالنسبة للفرد فى سلوكه فى الحياة وبالنسبة لأولى الأمر فى حكم المدينة القاعدة الوحيدة المأمونة . لأن الله وحده هو الذى ينصب الميزان المقسط للأشياء وليس الهوى ولا تعسف بنى الانسان . وكذلك يكرر أفلاطون فى هذا المؤلف الأخير وهو دستور المفكر ودستور رجل الدولة ، ذكر تلك القاعدة التى تلخص مناحى تفكيره الأساسية وهى «اتبع الله ، اقتد بالله» . أما العبارة التى يستعيرها من « التراث القديم » كى يتمكن من التعبير عن حضرة الله الشاملة وعن فعل الله غير المرئى ، فانها تنطبق تمام الانطباق على فلسفته نفسها : فالله فى فلسفته هو حقا « البداية والوسط والنهاية » .

حياة أفلاطون بعد وفاته

توفى أفلاطون فى سن الثمانين ، عام ٣٤٧ ق٠م أثناء ولاية تيوفيلوس ٠ وكان ذلك ، كما يخبرنا قصاصو الحوادث، « العام الثالث عشر للملك فيليب » اذ ان انتباه التاريخ أخذ يتحول فى تلك اللحظة نحو من سلب المدن اليونانية استقلالها الذى طالما ظلت غيورة عليه ٠ ولقد انتفعت المدن اليونانية بهذا الاستقلال فى خلق مدنية لا مثيل لها ؛ ولكنها استخدمته أيضا فى احداث التمزق الداخلى فى حروب أخذت تتجدد على الدوام فأطلق أفلاطون عليها بحق اسم الحروب الأهلية ٠ استمرت هذه الحروب حتى أضنت المتحاربين ٠ وكانت أثينا قد أعلنت الحرب على حلفائها أنفسهم ، فى اللحظة التى اغتصب فيليب منها مدينة أمبيبوليس عام ٣٥٧ق٠م ٠ ثم تلت « الحرب الدينية الحرب الاجتماعية » : نشأت عن نزاع يتعلق بقطعة أرض من ممتلكات هيكل دلف فسبب هذا النزاع انقسام اليونان الى قسمين، وظل هذا الانقسام مستمرا خلال عشر سنوات ابتداء من عام ٣٥٦ حتى عام ٣٤٦ق٠م ٠ وقد استخدم فيليب هذا الانقسام فى التقدم بغزواته ٠ وكان قد استولى قبل موت أفلاطون بعدة شهور على مدينة أولينثوس التى أساءت أثينا

الدفاع عنها رغم تأنيب ديموستين الشديد • وسوف يصبح سيدا لليونان بعد خرونيه بعشر سنوات •

ولئن كان العصر الذى حياه أفلاطون غنيا بالحوادث ، فان حياة أفلاطون نفسها كانت مفتقرة الى الأحداث • فاذا لم نحكم عليها الا باعتبار الفوز الخارجى لبدت كما لو كانت حياة معدمة • ظل أفلاطون حتى الثلاثين تقريبا ينحو نحو تحقيق ما بدا غاية طبيعية له ونحو المشاركة جديا فى السياسة الأثينية • ولكن موت سقراط بين له أن كل مجهود للعمل بطريق مباشر مقضى عليه بالفشل • كما فتح هذا الموت عينى أفلاطون على الاصلاح العقلى والأخلاقى ذلك الاصلاح الذى تتطلبه السياسة المنتجة حقا كشرط متقدم عليها • فقنع بأن يتوارى فى الأكاديمية وأن يعد عن طريق تعاليمه ومحاوراته ، مستقبلا بعيدا غير واضح • ولكن طالما تمنى أن يسلك طريقا أقصر وأن يصل الى سلطان يكرس نفوذه للفكرة ويحقق الانقلاب المنشود دون نضال • وقد سنحت له الفرصة أخيرا لأن يحقق مملكة الانصاف على هذا النحو • ونعرف كيف استجاب فى سخاء لذلك النداء وكيف تتبع المحاولة فى صلابة وكيف انتهت هذه المحاولة مع دنيس الأصغر ثم مع ديون الطالب الأمثل ، بفشل محزن • ولم تكن الصدمات التى انتابت وطنه الخاص حيث عكف على العمل أخف من ذلك وطأة على نفسه ، وهو وان قسا على وطنه الى حد ما فى بعض الأحيان ، الا أنه كان يحبه الى حد لم يكن ليتحمل معه انهياره •

كان فشل أفلاطون فى الناحية العملية دية لتأثيره على التفكير على مر العصور • فقد أسس مدرسة للعلم السياسى

لكي يكون للمستقبل من يتولون انقاذ المدينة · ولم يكن ذلك العلم السياسي في رأيه الا تطبيقا لما كان يسميه العلم السامي أو الفلسفة التي تأتلف في وحدتها وتتوج جميع العلوم · كانت الأكاديمية اذن مركزا حقيقيا للدراسات العالية وهي أول نموذج لجامعاتنا الحالية وظلت الأكاديمية قائمة حتى القرن السادس بعد ميلاد المسيح · ولم تكن في ذلك الحين سوى مجتمع صغير للوثنيين منعزل وسط عالم مسيحي · فأغلقت بأمر من جستنيان عام ٥٢٩ · ولكنها كانت قد كونت عددا كبيرا من أساتذة مدرسة الاسكندرية الكبرى التي نقلت في القرن السابع الى القسطنطينية ، فساعدت في الامبراطورية البيزنطية على حفظ تراث العلم اليوناني وعلى حفظ الروح الأفلاطونية الى حد ما ·

وكان مجال هذه الروح لأن تحيا خالصة يكون ضعيفا لو أنها انتقلت عن طريق تراث المدارس فحسب · اذ ان من خلفوا أفلاطون مباشرة وهما: أسبيزيبوس وأكسينوقراط قد بدأ في اضعاف هذه الروح · كما أن الأسماء المبرزة بين سلسلة أساتذة الأكاديمية كانت نادرة جدا · ثم ان أفلاطون الذي نظر الى التعليم باعتباره تبادلا بين نفس وأخرى ، لم يكن ليثق ثقة تامة الا في الكلم الحي · ولم تكن مهنة الكتابة بالنسبة اليه الا هواية نبيلة ، وما الكتاب الا كنز للذكريات العذبة للمعلم ولتلاميذه · وعلى ذلك ، فالمحاورات التي كتبها « وهو يلهو » ، تلك المحاورات التي تفيض بالشعر الرائع وبحرارة في التفكير لا نظير لها هي بمثابة المتمم الحقيقي لتعاليمه ولعمله · ولم تفتأ المحاورات توجه من أرادت خلقهم أو اصلاحهم من شعراء وفنانين وعلماء ومصلحين سياسيين

حتى خبت ومضتها الدينية والصوفية فى يوم ما وامتصتها ومضة أزكى منها هى ومضة كما ذكر أفلاطون نفسه ، قدسية حقا ٠

لم يقصر آباء الكنيسة فى بيان الثغرات ومواضع الضعف التى يحتويها المذهب الأفلاطونى : كتسامحها فى أمر الاشراك بالله وتقليلها من شأن فعل الخلق بأن قالت بالوجود السابق للمادة وزيغها الأخلاقى فى الاشتراكية وحين تغاضت تغاضيا أدبيا خطرا عن الحب الكافر ٠ ولكن أنى لآباء الكنيسة ألا يتلقفوا فى لهفة المساعدة التى قدمتها لهم نظريات أفلاطونية متعددة فى اللحظة التى كانوا ينشدون فيها حليفا لهم فى عملهم ان فى الدفاع أو فى الهجوم؟٠٠ ــ ويشير باسكال بهذه العبارة فى مؤلفه « أفكار » حيث يقول : « أفلاطون باعتباره ممهدا للمسيحية » ٠ ويقول كل من يوزيب دوكازارى والقديس أوغسطين : « انه أقرب الينا من أى فرد آخر» ٠ ويقولان كذلك ان «الأفلاطونية دهليز للمسيحية » ٠ ويسر كل من القديس أوستين وكليمان الاسكندرى وأورجين والقديس بازيليوس والقديس جريجورى دونازيانز أن يجدوا لدى أفلاطون هذا التقديس وذلك التبشير بالحقيقة ٠ وخصص له آيوزيب ثلاثة كتب برمتها من مؤلفه « تحضيرات فى الانجيل » وقد استشهد بنصوص من المحاورات بكثرة جدا ، الى حد اختفت معه كلماته الخاصة وراء كلماتها ٠

وجود الله والعناية الالهية بل وحدس بعقيدة التثليث والخلق وخلود النفس والصراع الأبدى بين البدن والروح وتسخير قوة الدولة لخدمة الدين ، تلك هى الأشياء التى

طاب للآباء أن يجدوها لدى أفلاطون • ويذكرون فى بعض الأحيان أنه انما اختلس هذه النظريات من موسى ويذكرون فى أحيان أخرى أنه انما توصل اليها عن طريق معاونة الهية خاصة • وكيف لا يدهشون وفيها من التشابه ما يصل الى حد التشابه فى الأسلوب نفسه ؟ •• ـ فقد طالعوا فى محاورة القوانين القول بأن عدل الله يصل أبدا الى كل شيء مهما بعد « فلن تنجو منه البتة حتى اذا بلغت من الدقة ما يمكنك من النفاذ الى أقصى غور الأرض أو كنت من العظم بحيث ترتفع الى أعالى السماء » • وأعجبتهم فى الجمهورية صورة العادل مهضوم الحق المضطهد المعذب • وطاب لهم أن يلاحظوا لدى أفلاطون ولدى القديس بولس معا « القانونين المتعارضين اللذين يصطرعان فى أعضائنا » • وكذلك حينما تذكر محاورة القوانين وتذكر محاورة تيتاوس من قبلها أن ثمة صراعا لا يفنى بين الخير والشر ، وأن لنا من الله حليفا فى هذا الصراع ، أليس فى ذلك صياغة للفكرة الرئيسية من كتاب « مدينة الله » ••• !

لم تعرف العصور الوسطى اللاتينية فى صورة جلية من محاورات أفلاطون الا محاورة تيماوس وتعليقا على هذه المحاورة لا يوضحها على الاطلاق • انما عرفوا المذهب عن طريق وساطات شديدة الاختلاط أو عن طريق النقد الأرسطى • ولكن القديس بونافنتورا ، الذى يعتبر الفلسفة « تصاعدا بالنفس نحو الله » قد احتفظ عن طريق القديس أوغسطين بشيء كثير من الروح الأفلاطونية • ولم تكن هذه الروح معدومة على الاطلاق فى بناء المذهب التوماوى • ومن أعظم من تأثرهم القديس توماس الى جانب أرسطو ، دنيس

الملقب بالاريوباجى ، ويأخذ عنه تيارا من الأفكار صادرة بدورها عن منابع أفلاطونية وأفلاطونية محدثة • أما مؤلف بنوزوجزلى «انتصار القديس توماس» ، فيعبر تعبيرا جيدا ، حينما يضع آرسطو عن يمين سيد الفلسفة المدرسية وأفلاطون عن يساره ، عن الأثر المشترك وأهمية كل من هاتين القوتين •

ان أهداف المذهب الأفلاطونى آبعد من آن ينالها حد ؛ لآنه روح آكثر من أن يكون مذهبا ، وهو يتحد فى يسر مع كل تفكير يقصد الى مهاجمته • ولما كان مذهبا مدققا فى مناهجه، واضحا منقبا فى عباراته المهمة ؛ فقد رحب بل أثار راغبا النقد والتصحيح ، اذ يعتبر أن كل علم انسانى وكل كمال انسانى شىء لم يصل الى حد الاكتمال• وكان حب استطلاعه الذى لا يعرف النصب يتلطف بكل عمل جديد • وقد سار بطريق فى البحث سديدة نحو أفق سلس ونحو مثل أعلى هو على الدوام غير متناه فى السمو عما يحققه الحاضر • ويعرف هو نفسه بأنه حب لا يعرف الارتواء كلما زاد امتلاكه ازدادت رغبته • وهكذا ، يظل قابلا للتقدم المتصل ؛ لأنه يجعل من السماء منزلا للحقيقة العليا ومحلا للخير الأسمى •

نبذة عن المؤلف

أوجست دييس

ولد أوجست دييس ببلدة مانس بفرنسا عام ١٨٧٥ وتلقى تعليمه بالمدارس الدينية ، ودرس الفلسفة وأصبح أستاذا لها بالكليات الكاثوليكية بغربى فرنسا • وقف المؤلف جهوده على دراسة أفلاطون وفلسفته وآثاره حتى أصبح حجة فى هذا الباب • وتعتبر المحاورات والمؤلفات التى حققها ونشرها مصادر يوثق بها ويعتمد عليها • فقد نشر كتابه « تعريف الموجود وطبيعة المثل فى محاورة السوفسطائى لأفلاطون » La définition de l'être et la nautre des idées dans le Sophsite de Platon (طبعة الكان عام ١٩٠٩) • كما نشر نفس العام كتاب « الدورة الصوفية » Le Cycle Mystique (طبعة الكان) • ونشر من محاورات أفلاطون : «بارمينيدس» سنة ١٩٢٣ و «تيتاوس» سنة ١٩٢٤ و « السوفسطائى » سنة ١٩٢٥ وقد ظهرت كلها فى مجموعة جيوم بوديه • ثم نشر فى عام ١٩٢٧ مؤلفا ضخما فى جزءين عن أفلاطون أسماه « حول أفلاطون » Autour de Platon ، أما الكتاب الذى ترجمته فقد نشره عام ١٩٣٠ ضمن مجموعة من الكتب ألفها كبار المؤلفين وأصدرتها احدى دور النشر الفرنسية تحت عنوان « فطاحل المفكرين » Les grands coeurs • وقد ساهم الأب أوجست دييس فى مجموعة البحوث التى نشرها

بول تانرى بعنوان « تاريخ العلم الهيليني » Pour l'histoire de la science hélléniquePaul Tannery (انظر : الطبعة الثانية ، باريس سنة ١٩٣٠) • ثم نشر مقدمة لجمهورية أفلاطون قدم بها للترجمة الفرنسية التى أنجزها الأستاذ شامبرى Chambry (مجموعة جيوم بوديه سنة ١٩٣٣) ، كما أعد الطبعة الثانية لكتابه « تعريف الموجود الخ •• » (مكتبة جوتيه فلار سنة ١٩٣٢) • وقد تولت اخراج هذه الكتب جميعا كبريات دور النشر الفرنسية •

اقرأ فى هذه السلسلة

برتراند رسل
أحلام الأعلام وقصص أخرى

ى· رادو نكايانو جابوتنسكى
الالكترونيات والحياة الحديثة

ألدس هكسلى
نقطة مقابل نقطة

ت· و· فريمان
الجغرافيا فى مائة عام

رايموند وليامز
الثقافة والمجتمع

ر· ج· فوربس و أ· ج· ديكسترهو
تاريخ العلم والتكنولوجيا
٢ ج

ليستردبل راى
الأرض الغامضة

والتر آلن
الرواية الانجليزية

لويس فارجاس
المرشد الى فن المسرح

فرانسوا دوماس
آلهة مصر

قدرى حفنى وآخرون
الانسان المصرى على الشاشة

أولج فولكف
القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة

هاشم النحاس
الهوية القومية فى السينما

ديفيد وليام ماكدوال
مجموعات النقود · صيانتها تصنيفها – عرضها

عزيز الشوان
الموسيقى تعبير نغمى ومنطق

د· محسن جاسم الموسوى
عصر الرواية

ديلان توماس
مجموعة مقالات نقدية

جون لويس
الانسان ذلك الكائن الفريد

جول ويست
الرواية الحديثة · الانجليزية والفرنسية

د· عبد المعطى شعراوى
المسرح المصرى المعاصر أصله وبدايته

أنور المعداوى
على محمود طه الشاعر والانسان

بول شول وادينيت
القوة النفسية للأهرام

د· صفاء خلوصى
فن الترجمة

رالف ئى ماتلو
تولستوى

فكتور برومبير
ستندال

فيكتور هوجو
رسائل وأحاديث من المنفى

فيرنر هيزنبرج
الجزء والكل « محاورات فى مضمار الفيزياء الذرية »

سدنى هوك
التراث الغامض · ماركس والماركسيون

ف· ع· أدينكوف
فن الأدب الروائى عند تولستوى

هادى نعمان الهيتى
أدب الأطفال « فلسفته ، فنونه ، وسائطه »

د· نعمة رحيم العزاوى
أحمد حسن الزيات كاتبا وناقدا

د· فاضل أحمد الطائى
أعلام العرب فى الكيمياء

جلال العشرى
فكرة المسرح

هنرى باربوس
الجحيم

د· السيد عليوة
صنع القرار السياسى فى منظمات الادارة العامة

جاكوب برونوفسكى
التطور الحضارى للانسان

د· روجر ستروجان
هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال ؟

كاتى ثير
تربية الدواجن

ا· سبنسر
الموتى وعالمهم فى مصر القديمة

ناعوم بيتروفيتش
النحل والطب

جوزيف داهموس
سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى

د· لينوار تشامبرزرايت
سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء مصر

د· جون شندلر
كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة

بيير البير
الصحافة

د· غبريال وهبة
أثر الكوميديا الالهية لدانتى فى الفن التشكيلى

د· رمسيس عوض
الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعدها

د· محمد نعمان جلال
حركة عدم الانحياز فى عالم متغير

فرانكلين ل· باومر
الفكر الأوربى الحديث ٤ ج

شوكت الربيعى
الفن التشكيلى المعاصر فى الوطن العربى

د· محيى الدين أحمد حسين
التنشئة الأسرية والأبناء الصغار

ج· دادلى اندرو
نظريات الفيلم الكبرى

جوزيف كونراد
مختارات من الأدب القصصى

د· جوهان دورشنر
الحياة فى الكون كيف نشأت وأين توجد

طائفة من العلماء الأمريكيين
مبادرة الدفاع الاستراتيجى حرب الفضاء

د· السيد عليوة
ادارة الصراعات الدولية

د· مصطفى عنانى
الميكروكمبيوتر

مجموعة من الكتاب اليابانيين القدماء والمحدثين
مختارات من الأدب اليابانى « الشعر – الدراما – الحكاية – القصة القصيرة »

جابرييل باير
تاريخ ملكية الأراضى فى مصر الحديثة

انطونى دى كرسبنى وكينيث مينوج
اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة

دوايت سوين
كتابة السيناريو للسينما

زاليلسكى ف· س
الزمن وقياسه (من جزء من البليون جزء من الثانية وحتى مليارات السنين)

مهندس ابراهيم القرضاوى
اجهزة تكييف الهواء

بيتر رداى
الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى

جوزيف داهموس
سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى

س· م· بورا
التجربة اليونانية

د· عاصم محمد رزق
مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية

رونالد د· سمبســون ونورمان د· اندرسون
العلم والطلاب والمدارس

د· انور عبد الملك
الشارع المصرى والفكر

ولت ولتيمان روستو
حوار حول التنمية الاقتصادية

فرد · س· هيس
تبسيط الكيمياء

جون لويس بوركهارت
العادات والتقاليد المصرية من الأمثـال الشعبيـة فى عهد محمد على

الان كاسبيار
التذوق السينمائى

سامى عبد المعطى
التخطيط السياحى فى مصر بين النظرية والتطبيق

فريد هويل وشاندرا ويكراما سينج
البذور الكونية

حسين حلمى المهندس
دراما الشاشة (بين النظرية والتطبيق ، للسينمـاو التليفزيون

روى روبرتسون
الهيروين والايدز وأثرهما فى المجتمع

دور كاس ماكلينتوك
صور افريقية · نظرة على حيوانات افريقيا

هاشم النحاس
نجيب محفوظ على الشاشة

د· محمود سرى طه
الكومبيوتر فى مجالات الحياة

بيتر لورى
المخدرات حقائق نفسية

بوريس فيدوروفيتش سيرجيف·
وظائف الأعضاء فى الألف الياء

ويليام بينز
الهندسة الوراثية للجميع

ديفيد الدرتون
تربية أسماك الزينة

أحمد محمد الشنوانى
كتب غيرت الفـكر الانسـانى

جون · ر· بورر وميلتون جولدينجر
الفلسفة وقضايا العصر ٣ جـ

ارنولد توينبى
الفكر التاريخى عند الاغريق

د· صالح رضـا
ملامح وقضايا فى الفن التشكيلى المعاصر

م· هـ كنج وآخرون
التغـذية فى البلدان النـامية

جورج جاموف
بداية بلا نهاية

د· السيد طه السيد ابو سديرة
الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى

جاليليو جاليليه
حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ٣ جـ

اريك موريس والان هو
الارهاب

سيرل الدريد
اخناتون

ارثر كيستلر
القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم

ب· كوملان
الأساطير الاغريقية والرومانية

د· توماس ا· هاريس
التوافق النفسى ـ تحليل المعاملات الانسانية

لجنة الترجمة ،
المجلس الأعلى للثقافة
الدليل الببليوجرافى
روائع الآداب العالمية جـ ١

روى آرمز
لغة الصورة فى السينما المعاصرة

ناجاى متشيو
الثورة الاصلاحية فى اليابان

بول هاريسون
العالم الثالث غدا

ميكائيل ابى وجيمس لفلوك
الانقراض الكبير

آدامز فيليب
دليل تنظيم المتاحف

فيكتور مورجان
تاريخ النقود

محمد كمال اسمـاعيل
التحليل والتوزيع الأوركسترالى

ابو القاسم الفردوسى
الشاهنامة ٢ جـ

بيرتون بورتر
الحياة الكريمة ٢ جـ

جاك كرابس جونيور
كتابة التاريخ فى مصر القرن التاسع عشر

محمد فؤاد كوبريلى
قيام الدولة العثمانية

تونى بار
التمثيل للسينما والتليفزيون

تاجور ، شين يى بنج وآخرون
مختارات من الآداب الآسيوية

ناصر خسرو علوى
سفرنامة

نادين جورديمر وجريس أوجوت وآخرون
سقوط المطر وقصص اخرى

أحمد محمد الشنوانى
كتب غيرت الفكر الانسانى ٧ جـ

جان لويس بورى وآخرون
فى النقد السينمائى الفرنسى

العثمانيون فى أوربا
بول كولز

موريس بير برابر
صناع الخلود

روجموند هير
جماليات فن الاخراج

جوناثان ريلى سميث
الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية

الفريد ج بتلر
الكنائس القبطية القديمة مصر ٢ ج

ريتشارد شاخت
رواد الفلسفة الحديثة

ترابيم زرانشت
من كتاب الأفستا المقدس

الحاج يونس المصرى
رحلات فارتيما

هربرت شيلر
الاتصال والهيمنة الثقافية

برتراند راسل
السلطة والفرد

بيتر نيكوللز
السينما الخيالية

ادوارد ميرى
النقد السينمائى الأمريكى

نفتالى لويس
مصر الرومانية

سيفن اوزمنت
التاريخ من شتى جوانبه ٣ج

موسى مرج واخرون
السينما العربية من الخليج الى المحيط

هانس بكارد
انهم يصنعون البشر ج

سامى محمد الحر
ماسنفريخت

برير كريم
من هم التتار

ج س فريزر
الكاتب الحديث وعالمه ٢ ج

د وريال عبد الملك
حديث النهر
من روائع الأدب الهندى

لوريتو تود
مدخل الى علم اللغة

اسحق عظيموف
الشموس المتفجرة
اسرار السوبر نوفا

مارجريت روز
ما بعد الحداثة

د. بيارد دودج
الأزهر فى ألف عام

ستيفن رانسيمان
الحملات الصليبية

هـ ج ولز
معالم تاريخ الانسانية
٤ ج

جوستاف جرونيباوم
حضارة الاسلام

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
رحلة بيرتون الى مصر والحجاز
٣ ج

جلال عبد الفتاح
الكون ذلك المجهول

ارنولد جزل واخرون
الطفل من الخامسة الى العاشرة
٢ ج

بادى اونيمود
افريقيا – الطريق الآخر

د. محمد زينهم
فن الزجاج

برونسلاو مالينوفسكى
السحر والعلم والدين

آدم متز
الحضارة الاسلامية

هانس بكارد
انهم يصنعون البشر

عبد الرحمن عبد الله الشيخ
يوميات رحلة فاسكو داجاما

جيرى شابرو
كوننا المتحد

سوندارى
الفلسفة الجوهرية

مارتن فان كريفلد
حرب المستقبل

فرانسيس ج برجين
الاعلام التطبيقى

عبده مباشر
البحرية المصرية من محمد على
للسادات

ج. كارفيل
تبسيط المفاهيم الهندسية

توماس ليبهارت
فن المايم والبانتومايم

ادوارد دى بونو
التفكير المتجدد

ويليام هـ ماثيو
ما هى الجيولوجيا

كريستيان ساليه
السيناريو فى السينما الفرنسية

بول وارن
خفايا نظام النجم الأمريكى

جورج ستاينر
بين تولستوى ودوستويفسكى
٢ ج

يانكو لافرين
الرومانتيكية والواقعية

محمود سامى عطا الله
الفيلم التسجيلى

جوزيف بتس
رحلة جوزيف بتس

ستانلى جيه سولومون
أنواع الفيلم الأمريكى

مارى ب ناش
الحمر والبيض والسود

جوزيف م بوجز
فن الفرجة على الأفلام

كريستيان ديروش نوبلكور
المرأة الفرعونية

جوزيف نيدهام
موجز تاريخ العلم والحضارة
فى الصين

ليوناردو دافنشى
نظرية التصوير

ت ج هـ جيمس
كنوز الفراعنة

رودولف فون هابسبرج
رحلة الأمير رودلف الى الشرق
٣ ج

مالكوم برادبرى
الرواية اليوم

وليم مارسدن
رحلة ماركو بولو ٣ ج

هنرى بيرين
تاريخ أوربا فى العصور الوسطى

ديفيد شيمبر
نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر

اسحق عظيموف
العلم وآفاق المستقبل

رونالد دالبد لانج
الحكمة والجنون والحماقة

كارل بوبر
بحثا عن عالم أفضل

نورمان كلارك
الاقتصاد السياسى للعلم
والتكنولوجيا

السيد نصر الدين السيد
اطلالات على الزمن الآتى

ممدوح عطية
البرنامج النووى الاسرائيلى والأمن القومى العربى)

د. ليوبوسكاليا
الحب

ايفور ايفانس
موجز تاريخ الأدب الانجليزى

هيربرت ريد
التربية عن طريق الفن

وليام بينز
معجم التكنولوجيا الحيوية

الفين توفلر
تحول السلطة ٢ ج

يوسف شراوة
مشكلات القرن الحادى والعشرين والعلاقات الدولية

رولاند جاكسون
الكيمياء فى خدمة الانسان

ت. ج. جيمز
الحياة أيام الفراعنة

جرج كاشمان
لماذا تنشب الحروب ٢ ج

حسام الدين زكريا
انطون بروكنر

ونفرد هولمز
كانت ملكة على مصر

جيمس هنرى برستد
تاريخ مصر

بول دافيز
الدقائق الثلاث الأخيرة

جوزيف ومارى فيلدمان
دينامية الفيلم

ج. كونتنو
الحضارة الفينيقية

ارنست كاسيرر
فى المعرفة التاريخية

كنت أ . كتشن
رمسيس الثانى

جان بول سارتر وآخرون
مختارات من المسرح العالمى

روزالند ، وجاك يانسن
الطفل المصرى القديم

نيكولاس ماير
شرلوك هولمز

ميجيل دى ليبس
الفئران

جوسيبى دى لونا
موسولينى

الويز جرايت
موتسارت

روبرت سكولز وآخرون
آفاق أدب الخيال العلمى

ب. س ديفيز
المفهوم الحديث للمكان والزمان

س. هوارد
أشهر الرحلات الى غرب افريقيا

و. بارتولد
تاريخ الترك فى آسيا الوسطى

فلاديمير تيماتيانو
تاريخ أوروبا الشرقية

جابرييل جارسيا ماركيز
الجنرال فى المتاهة

هنرى برجسون
الضحك

د. مصطفى محمود سليمان
الزلازل

م. و. فراج
ضمير المهندس

أ. ر. جرنى
الحيثيون

ستينو موسكاتى
الحضارات السامية

د. البرت حورانى
تاريخ الشعوب العربية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١١٧٨٥ / ١٩٩٨

ISBN — 977 — 01 — 5917 — 4

كانت المحاورات التى كتبها أفلاطون، تفيض بالشعر الرائع، وبحرارة فى التفكير لا نظير لها، وتعد المتمم الحقيقى لتعاليمه وعمله.

أما أهداف المذهب الأفلاطونى فأبعد من أن ينالها حد؛ لأنه روح أكثر من أن يكون مذهباً، وهو يتحد فى يسر مع كل تفكير يقصد إلى مهاجمته. ولما كان مذهباً مدققاً فى مناهجه، واضحاً فى عباراته، فقد رحب بالنقد والتصحيح، إذ يعتبر أن كل نتاج إنسانى، لا يصل إلى حد الكمال.

وقد اهتم آباء الكنيسة بالمذهب الأفلاطونى، سواء لبيان ثغراته أم للاستعانة به، ومنهم مؤلف هذا الكتاب، «أوجست دييس»، أستاذ الفلسفة بالكليات الكاثوليكية بغربى فرنسا، الذى وقف جهوده على دراسة أفلاطون وفلسفته وآثاره حتى أصبح حجة فى هذا الباب. وتعتبر المحاورات والمؤلفات التى حققها ونشرها مصادر يوثق بها ويعتمد عليها.



٣١٠ قروش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب